F. FAEZ FREIJATE b.s.

L'Eglise Melkite Et Vatican I

Etude publiée par la revue « Al-Wahdat »

Dans son numéro spécial «Les Orientaux au Concile Vatican I»

1970

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܓܙܐ
ܐܘ ܦܫܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܩܕܡ ܒܝܡܐ
ܘܗܘܒܪܐ ܡܢ ܒܢܝ ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܒܪܐ ܕܢܦܩܘܢ ܢܦܠ ܐܘ
ܥܠܡ ܠܗ ܡܦܢܐ ܟܠ ܢܦܫܗ ܗܘܐ ܠܗ ܡܦܢܐ ܥܠܡ
ܠܚܪܡܘܗܝ ܒܥܦܐ ܢܗܘܘܢ ܠܗ ܠܒܥܠܘܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

الكنيسة الملكية

والمجمع الفاتيكاني الاول

الاخ فايز فريجات المخلصي

الكنيسة الملكية
والمجمع الفاتيكاني الاول

ظهر هذا البحث في مجلة « الوحدة في الايمان »
في عددها الخاص « الشرقيون في المجمع المسكوني الفاتيكاني الاول »

١٩٧٠

في اواخر العقد السادس من القرن التاسع عشر عصفت بالكنيسة الملكية ازمة عنيفة على اثر اعلان البطريرك اكليمنضوس بحوث قراره القاضي باتباع الحساب الفريغوري في مطلع سنة ١٨٥٧ . فان بعضا من مطارنة الطائفة وقسما من ابنائها رفض الاخذ بما ارتآه البطريرك واعلن معارضته الشديدة لهذا التدبير . مما حمل البطريرك على الاستقالة من تلقاء نفسه دون الرجوع الى احد . لكن الكرسي الروماني رفض استقالته . فعاد عنها . وحاول جاهدا ان يصلح ذات البين فلم يفلح . فقد هاجت كوامن النفوس. واستفحل الخطب وانشقت الطائفة فخسرت مئات العائلات انفصلت عنها وأسست كنيسة مستقلة دعيت طائفة « الشرقيين ». ولم تستطع حوادث سنة الستين المشؤومة وما حل فيها بالمسيحيين من تقتيل وتشريد ان تعيد الى الطائفة وحدتها . واذ شعر بحوث بعجزه عن بلوغ هذه الغاية المنشودة عاد فقدم استقالته الى رومة سنة ١٨٦٤ . فقبلتها هذه المرة .

وفي السنة ذاتها انتخب خلفا له البطريرك غريغوريوس يوسف . عمل البطريرك الجديد بجد وكد غير مدخر جهدا ولا موفر مسعى . بل بذل قصاراه حقا حتى أعاد المنفصلين — لكن لا كلهم — الى الوحدة بعد جهود طويلة شاقة وأتعاب كثيرة مضنية . فهو اذن يعرف ثمن وحدة الطائفة . وقد كلفته غاليا جدا . سنرى ان شبح هذا الشقاق سيظل يراود مخيلات الجميع من البطريرك

والاساقفة الى أعيان الطائفة وعامتها . وقد خلف في نفوسهم حسرة عظيمة وخوفا مقيما من تجدد أسبابه (١) .

لا ريب ان الذين رفضوا اصلاح الحساب كانوا شديدي التعلق بالتقاليد التي سارت عليها الطائفة وبالامتيازات التي نعمت بها . وكانوا يخشون على ما درجت عليه من استقلال عن الكنيسة الغربية من حيث الطقس والنظام مع وحدة في الايمان تجمع بين الاثنتين . وستثبت الايام ان ما استشعروه من خوف لم يكن من نسج الخيال .

قبل المجمع

دعا البابا البطاركة الشرقيين لحضور الاحتفالات بالذكرى المئوية الثامنة عشرة لاستشهاد القديسين بطرس وبولس وبتطويب القديس الاوكراني يوشفاط . ولعلهم كانوا يتوقعون امرا . فقد كتب البطريرك غريغوريوس يوسف في ١٨ شباط ١٨٦٧ من مصر الى وكيله في رومة : « وصلنا كتاب الدعوة من قبل قداسته للعيد الاحتفالي في رومية المزمع ان يكون في حزيران المقبل . فلا تغبونا ما يلزم ان نعرفه . وواصلونا بالاخبار ... » (٢) . ولبى البطريرك الملكي الدعوة . واثناء وجوده في رومة اعلن البابا بيوس التاسع البراءة الشهيرة التي مطلعها : « ان ابن الله الوحيد المزمع ان يعود من هذا العالم الى ابيه » (Reversurus) المؤرخة في ١٢ تموز ١٨٦٧ ، وفيها يحدث تغييرات جمة في انظمة الكنيسة الارمنية فيحد استقلالها ويزيد من مداخلة رومة في شؤونها . كان البابا والمسؤولون في مجمع انتشار الايمان يريدون ان تعم احكام هذه البراءة كافة الطوائف الشرقية الكاثوليكية . وفي الزيارة التي ودع بها البطركان الماروني والملكي البابا قبل ان يغادرا رومة فاتحهما قداسته بالموضوع متحدثا « بشيء من الحدة » عن تدخل الشعب

---

١ – راجع عن هذه القضية مثلا مقال « بحوث » لكورولفسكي في « قاموس التاريخ والجغرافية الكنسيين » (بالفرنسية) ، المجلد ٦ ، عامود ٢٣٢ – ٢٣٥ .

٢ – محفوظات دير المخلص ، وثائق سنة ١٨٦٧ .

في انتخاب المطارنة وفي غير هذا من الامور الدينية . فتجرأ البطريرك الماروني وقدم بعض اعتراضات ، ثم انصرفا واعدين بأن يهتما بهذه القضية . وقد بعث رئيس البروبفندا الكردينال برنابو برسالتين الى البطريرك الملكي يسأله فيهما عما صارت اليه الحال في هذا الخصوص . فأجابه غريغوريوس يوسف مبينا الخطر الذي قد ينجم عن التغييرات المقترحة « لان الطائفة الملكية ترى فيها الغاء وجودها المستقل وسيرا نحو الغاء طقسها تماما وهي متعلقة به جدا . وحتى الذين ساعدوا في ادخال الحساب الجديد ينظرون نظرة مختلفة الى هذه المسألة . ثمة خطر في رجوع كثيرين الى الشقاق » (٣) .

وكان قد طلب الى البطاركة الشرقيين ان يطلعوا رومة على القضايا التي يرتأون بحثها ، فبعث البطريرك غريغوريوس يوسف بمقترحاته من الاسكندرية في ١٢ ايار ١٨٦٦ . واهم ما فيها المطالبة بالنظر في الموقف المشين الذي يقفه المرسلون اللاتينيون في الشرق من الطقوس الشرقية ، والشكوى من فقدان حق قانوني خاص بالطوائف الشرقية . اما عن الوسائل الكفيلة بتسهيل « رجوع » المنفصلين الى الوحدة فلا بد في رأي البطريرك من اتخاذ تدابير اكثر

---

٣ – عن تقرير لقنصل فرنسا في دمشق في ٣٠ ايلول ١٨٦٩ ، وقد استقى القنصل كل هذه المعلومات من البطريرك الملكي نفسه . نشر هذا التقرير مع غيره من تقارير قناصل فرنسا وسفرائها ، المحفوظة في محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية في باريس ، الاب يوسف حجار في مقاله الممتاز : « الاساقفة الكاثوليك الشرقيون والمجمع الفاتيكاني الاول ، حسب المراسلات الدبلوماسية الفرنسية » (بالفرنسية) الذي ظهر في « مجلة التاريخ الكنسي » (بالفرنسية) على دفعتين : القسم الاول ظهر في المجلد ٦٥ ، ص ٤٢٣ – ٤٥٥ (نحيل اليه هكذا : مقال الاب حجار ، القسم الاول، ص كذا) ، اما القسم الثاني فقد تلطف الاب حجار وأطلعنا على مسوداته المطبوعة قبل ان يصدر عدد المجلة التالي (لذا نحيل اليه هكذا : مقال الاب حجار ، ص كذا من القسم الثاني) . ونحن اذ نشكر للاب البحاثة لطفه الجم نعبر له هنا عن عظيم امتناننا وتقديرنا الجزيل لهذه البادرة الطيبة وللمعلومات الوافرة والفريدة التي وضعها هكذا في متناول يدنا . تجد التقرير المشار اليه اعلاه في مقال الاب حجار ، القسم الاول ، ص ٤٣٧ – ٤٣٩ .

ملاءمة للتقاليد والانظمة الشرقية القديمة (٤) .

بدات اللجان الاعدادية للمجمع العمل منذ أواسط ايلول سنة ١٨٦٧ ، وتتالت الاجتماعات حتى ٩ أيار ١٨٧٠ فبلغت ٣٧ اجتماعا . كانت « لجنة الرسالات وكنائس الطقس الشرقي » تعمل تحت رئاسة الكردينال برنابو رئيس مجمع انتشار الايمان . أما اعضاؤها فلم يكن بينهم سوى واحد فقط من الشرق الاوسط مطلع على حقيقة الاوضاع هو الخوري السرياني يوسف داود ، لكنه لن يستطيع القدوم الى رومة وحضور الجلسات الا في النصف الثاني من ١٨٦٩ ، أي بعد سنتين . وكان بطريرك اورشليم اللاتيني يوسف فاليرغا ابرز الاعضاء بل يصح اعتباره جهيزتهم يقطع قول كل خطيب ، وقد اشتهر عنه انه من اشد دعاة ليتنة الشرقيين ومن غلاة المطالبين بتوحيد الانظمة الكنسية وحصر السلطة البطريركية . لا شك ان تأليف هذه اللجنة على هذا الشكل كان مدعاة لاستياء البطاركة الشرقيين وطوائفهم ، سيما وانه قد تقرر منذ الجلسة الثالثة ، في ١٥ تشرين الثاني ، ان لا يدعى هؤلاء البطاركة الى الاشتراك في اعداد ومناقشة جدول الاعمال ، على أن يطلب الى كل واحد منهم ارسال اسقف يمثله قبل افتتاح المجمع بقليل . بحثت هذه اللجنة اهم ما كان يشغل بال الشرق الكاثوليكي بأسره : وحدة او اختلاف الانظمة بين الكنائس الشرقية وبين الكنيسة اللاتينية ، السلطة البطريركية ، نشاط المرسلين اللاتين في الشرق ، تقوية بطريركية اورشليم اللاتينية ، انتقال الشرقيين الى الطقس اللاتيني ، اصلاح الحياة الرهبانية في الشرق . وغني عن البيان ان هذه القضايا خطيرة غاية الخطورة بل انها تطال أسس وجود الطوائف الشرقية بالذات. ومما يؤسف له أن الروح التي سادت المناقشات ووجهتها روح مليتنة متعالية ، فاذا الحلول المقترحة تدعو الى القلق الشديد لان فاليرغا كان المسيطر المهيمن وكان « الخبير » النافذ الرأي .

---

٤ ــ راجع كتاب الاب يوسف حجار : مسيحيو الشرق الادنى المحدون (بالفرنسية) ، باريس ١٩٦٢ ، ص ٢٩٥ . سنحيل الى هذا المرجع المهم هكذا : كتاب الاب حجار ، ص كذا .

وكانت آراؤه تقود في منطق الاشياء الى ملاشاة الطوائف الشرقية مع « السماح » ببقاء الطقوس فقط ، اقاله الى حين (٥) .

كانت أخبار هذه الحوادث تصل الشرق تباعا فتخلف في القلوب غصة وحسرة وفي النفوس قلقا شديدا ، قلقا مصيريا ، واضطرابا عظيما . واستبدت المخاوف بأساقفة الطائفة الملكية وبأعيانها فقد تعددت دواعيها . وكان الشعب بأسره خاصته وعامته يهتم بأمور الدين وبأحوال الطائفة ، اذ انها قضايا تمسه في صميم حياته الشخصية والاجتماعية حتى الاقتصادية ، وبرهان ذلك واضح جلي في مسألة الحساب حيث كثرت في المدن الكبرى والصغرى العرائض موافقة ومخالفة تحمل تواقيع العلمانيين قبل رجال الاكليروس .

في ٢٩ حزيران ١٨٦٨ أصدر البابا براءة يدعو بها مطارنة الكثلكة الى المجمع محددا موعد افتتاحه في ٨ كانون الاول ١٨٧٠ . ونقلت هذه البراءة الى اللغة العربية ليطلع عليها من يهمه امرها من الناطقين بالضاد (٦) . وقد ارسل البطريرك غريغوريوس يوسف الى اساقفته نسخا من تعريبها (٧) . لا شك ان الطائفة

---

٥ ــ انظر كل هذا مفصلا في : كتاب الاب حجار ، ص ٢٩٢ ــ ٣٠٠ .

٦ ــ بين محفوظات الدار البطريركية الملكية في عين تراز ملف جمعت فيه الوثائق التي تتعلق بالمجمع الفاتيكاني الاول مع اوراق قضايا اخرى (نحيل اليه هكذا : محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول) ، وقد أطلعنا عليه ووضعه في تصرفنا سيادة المطران بطرس كامل مدور الكلي الوقار ، فله منا جزيل الشكر ووافر الامتنان . في هذا الملف تعريب لهذه البراءة جاء في آخره : « قد تم استخراجه من اللغتين اللاتينية والايتاليانية الى اللغة العربية نهار الاربعا في ٢٦ شهر آب سنة ١٨٦٨ ... من قبل احقر عبيد الله ... يوسف ابن ابراهيم هَنا الدمشقي وطنا والروم الملكي طايفة والكاثوليكي مذهبا تلميذ مجمع القديس اثناسيوس الكبير برومية العظمى احد اكليروس العلماني والدارس الآن في مجمع انتشار الايمان ... » . وفي الملف ايضا تعريب آخر لهذه البراءة ذاتها كما بان لنا من المقابلة ، لكن دون ذكر اسم المعرب .

٧ ــ « وتعريب هذه البولة قد بعثنا بنسخه اليكم » : رسالة البطريرك غريغوريوس يوسف الى مطارنة كرسيه في ١ كانون الاول ١٨٦٨ (محفوظات دير المخلص ، وثائق سنة ١٨٦٨) .

تقبلت الخبر بفتور وحذر للاسباب الآنف ذكرها .

وعرف البطريرك يوسف ان « قد تعين مجلس في رومية للنظر في ترتيب جلسات آباء المجمع العتيد » . فحرر في ١ كانون الاول ١٨٦٨ رسالة عامة الى جميع اساقفة كرسيه وبعث اليهم في طيِّها بعريضة الى البابا « حررناها عن اشخاصكم الموقرة لقداسته ... ومن ثم نرغب ان تبادروا الى مهرها كل بختمه تحت اسمه المحرر بآخر العريضة المذكورة لكي عند رجوعها الينا مكتملة الاختام نسرع بارسالها مرفوقة بكتابة خصوصية منا الى قداسته ونيافته . وقبل فوات الوقت يمكننا ان نأخذ الجواب ونكون على بصيرة ... اذ ان ما تحملنا في جمعية عيد القرن الثامن **(عشر)** * لاستشهاد الطوباوي هامة الرسل ... لا يمكن ان نرضاه في مجمع مسكوني ، في الوقت الذي فيه اخوتكم انفسكم لا توافقون كما لا نشك على ضياع حق الكنيسة الانطاكية الذي يهمكم ان تحاموا عنه ليس بأقل منا حال كون الالتزام والمصلحة هما واحدة في جميعنا » (٨) . اما موضوع العريضة ، وهي بتاريخ الرسالة عينه ، فهو التذكير بما حصل في تلك الاحتفالات من حيث اعتماد تاريخ الرسامة اساسا لتعيين المقام في الجلسة ، مما أدى الى ان « الاب السيد بطريرك الموارنة المحترم بحسب هذا النظام قد أخذ التقدم بالجلسة . فهذا الامر ولئن لم يكن مجلبا خللا عظيما لخصوصيات وحقوق بطريركيتنا . لكنه اوجب معاني مختلفة في الشرق ولا سيما بين الموارنة الذين بالصوت الحي وبواسطة المياومات **(أي الجرائد)** قد غيروا هيئته مشهرين انهم بحق فازوا بالتقدم ، ومن ذلك نتج هيج عظيم في الشعب . فبطريركنا لاتضاعه ما استجاز حينئذ ان يقيم الحجة عالما بأن ذلك الاجتماع ما كان الا عيدا والجلوس فيه موقتا لاجل تلك الاحتفالات . وعدا

---

٨ ـ راجع الحاشية السابقة . ثمة صورتان لهذه الرسالة في محفوظات دير المخلص : الاولى من القرن ١٩ ممزقة في بعض مواضع منها ، والثانية بخط الاب قسطنطين باشا نقلها عن نسخة بخط مطران صور اثناسيوس خوام .

* ـ اضطرتنا الظروف المطبعية القاهرة الى كتابة كل ما لزمت اضافته على الوثائق المنشورة ضمن هلالين ، بدل معقوفين ، لكن بحرف اسود .

البطريرك غريغوريوس يوسف (+١٨٩٧)

ذلك قد سلمه مجمع انتشار الايمان بصك يعلن فيه بأن هذا النظام لا يخل بحقوق واختصاصات كل من البطركين . واما موضوعنا الان فهو مجمع مسكوني ملتام قانونيا بمناداة الحبر الاعظم مستحضرا الكنيسة الكاثوليكية بأسرها ... ومن ثم نتوسل بأن الحقوق والاختصاصات والانعامات التي تمتع بها الكرسي الانطاكي منذ القديم والتي منحت له من المجامع الماضية ومن الاحبار الرومانيين ليس فقط لا تكون معروفة بل ان تكون بقوتها متوطدة وثابتة ... » . ثم يطالبون باحترام حقوق البطريرك الملكي وامتيازاته لانه هو بطريرك انطاكية الحقيقي . و « بأن يأخذ في المجمع القادم الجلسة الواجبة له » (٩) .

وجاء في هذه العريضة الى البابا عن استعداد الاحبار الملكيين للذهاب الى المجمع جملة وجيزة مقتضبة : « نحن نعلن باننا سنحضر فيه ان لم يمنعنا مانع صوابي » . أما في الرسالة التي تضمنت العريضة فيخاطب البطريرك مطارنته هكذا : « فكما اننا نحن مستعدون للذهاب في الوقت المناسب لنشارك آباء المجمع المسكوني في الاهتمامات الخلاصية فنفترض في جميعكم الاستعداد ذاته مؤملين أن نجتمع معا ولو بالتبعيض قبل السفر لنتخذ ما يلزم اتخاذه من التدابير الاحتياطية والاستدراكات المقتضية ليكون سعينا فيما للرب بنفس واحدة بمقتضى وحدة الشركة التي تؤلف جميعنا مع رأسنا ورئيسنا الحبر الازلي سيدنا وملكنا يسوع المسيح ومع نايبه العام الحبر الروماني الكلي الطوبى . غير انه بمقتضى المخابرة الشفاهية التي أجريناها مع من اجتمعنا بهم من مصافكم الموقر بعد وصول بولة المناداة ليدنا قد استدركنا الامر الذي فيما بين الامور الاخر هو حاصل على الاهمية الكبرى لما به من العلاقات والتوابع الماسة جوهرية حق الكنيسة الشرقية الانطاكية التي نحن على اختلاف طبقاتنا قائمون برحمة الله بوظائف رياستها الكنايسية على تهذيب طقسنا اليوناني المقدس وعادة طائفتنا الرومية الملكية الكاثوليكية المحبوبة ، نعني به الشيء الذي

---

٩ - محفوظات دير المخلص : وثائق سنة ١٨٦٨ ، حيث يوجد صورة لهذه العريضة بخط الاب باشا نقلها عن نسخة بخط مطران صور اثناسيوس خوام .

ترونه مندرجا بحسب الاتفاق المحكي عنه مع اكثركم في العريضة التي حررناها عن اشخاصكم الموقرة ... » . ويطلب منهم في الختام « حفظ فحوى مخابرتنا هذه بكليتها في طي الكتمان عن كل احد من الاكليروس والشعب » (١٠) .

وفي هذه الاثناء كانت أخبار الاستعدادات للمجمع تتوالى . وتتضح أكثر فاكثر القضايا التي سيبحث فيها وحتى الاتجاهات التي سوف تميزه . كان ابناء الطائفة يطالعون هذه الاخبار او يسمعون بها فيزداد تخوفهم ويزداد قلقهم . اذ لم يكونوا يكنون لرومة كثيرا من المحبة فانهم لم ينسوا ما بلتهم به من بلبلة وخسارة بسبب اصلاح الحساب الذي طالبت به ودفعت بحوث اليه. والى القارىء هذه الجملة من تقرير غفل ارسل في ٢٧ ايلول ١٨٦٩ الى البطريرك الملكي يحدثه عن احوال الطائفة في بيروت : « ومن وقت هذا الحادث **(أي اصلاح الحساب)** الذي صار له نحو ١٠ سنة وأزود أكثر طايفتنا بهذا الطرف يصعب عليهم استماع سيرة مجمع رومية بأي نوع كان ، ويوردوا جملة اعتراضات عنها انها مضاددة الى مسرى شعوب هذا العصر المتمدن بكامل ظروفه في المغرب والمشرق ... وترون يوما بيوما عمَّال يتمكن هذا الروح فيكثيرين من أبناء طائفتنا بهذا الطرف ، وظروف الاوقات عمال تعطيهم ميدانا لكل هذا ، خصوصا ان اكثر البيوت في أقاليم سوريا وبر مصر صار بها أناس تفهم وتقرأ اللغات الاجنبية وبكل جمعه حتى لا نقول كل يوم يورد كازتات **(أي صحف)** من أوروبا ويقروهم ويفسروهم للعربي واكثرهم مشحونين في سيرة رومية ... » (١١)!

وزاد الطين بلة والمخاوف حدة والنفوس استياء حادث كان بطله بطريرك اورشليم اللاتيني فاليرغا الذي تحدثنا سابقا عن ميله العظيم الى ليتنة الشرقيين ، وكان يسعى الى توسيع رقعة بطريركيته ويعتبر ان له حقوقا على الشرق كافة . لكن الافضل ان نستمع الى صاحب التقرير الغفل عن احوال الروم الكاثوليك في

---

١٠ ـ راجع الحاشية رقم ٨ .

١١ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول .

بيروت : « والذي زاد الحال بطرفنا ايضا الذي لاجله صار كلام زايد من كثيرين من ابنا طايفتنا انه اذا كان لحد الان ما التام المجمع المزمع ينعقد في رومية ولا ظهرت أوامره فغبطة السيد البطريرك اللاتيني الاورشليمي الكلي الشرف والطوبى الموجود وقتئذ في رومية الذي أرسل الى كنايس سوريا تحت امضاه فقط الكراستين المطبوعتين عربيا في رومية المؤرخين في ١٩ نيسان السنة الحاضرة الواردين الى كنايس سوريا منذ اربعة أشهر وانقروا علنا في الكنايس المذكورين ، الذي من عبارتهم ومن امضاهم يظهر (مع انه كان مقتضى تكون امضاهم من المجمع المقدس كغيرهم قبلهم وليس بامضا غبطته) ان غبطته قد تصدر كأنه أب عمومي ومدبر ومرشد الى هذه الكنايس وحتى انه بمنزلة رئيس الرعاة الى اكليروس هذه الطوايف وله الباع الطويل بأكثر من الرؤسا الكنايسيين اهالي الوطن (فان كان الحال هكذا وما التام مجمع ولا انشهرت قوانينه فكيف يكون عند نهاية ذلك) ... وان هذا كله دليل ان اقاليم سوريا والطوايف الموجودة بها الخاضعة للكرسي الرسولي كأنهم داخل ابرشية البطريرك اللاتيني المذكور الكلي الشرف والطوبى وان غبطته كأنه تسمى سلفا كأنه اب عمومي ومدبر الى هذه الكنايس وحتى انه بمنزلة ريس الرعاة..» (١٢).

ومع اقتراب المجمع انتشرت في الشرق موجة اشاعات خبيثة أقلقت بال الملكيين الى الغاية فاستبد بهم الخوف من ابطال عوائدهم بل من فقدان استقلالهم ذاته . وهاجت الخواطر . فهرع الناس الى المطارنة والبطريرك يبثونهم الشكوى ويصارحونهم فاتحين لهم القلوب . بدأت العرائض ترد الواحدة بعد الاخرى . وبعد اطلاعنا على كل ما وجدناه منها نرى انه من الصعب ان يكون هذا الامر وقع اتفاقا لشدة ما بين هذه العرائض من تشابه في التصميم والمعاني والحجج . أولها تاريخا بين ما عثرنا عليه « اعراض » اعيان يبرود الى مطرانهم في ١٣ ايلول ١٨٦٩ . ولعله من المفيد ان نذكر أهم ما جاء فيه لافتين النظر الى لهجته العنيفة القاطعة :

١٢ - المرجع السابق . وما بين هلالين ورد هكذا في الاصل .

« ... قد فهمنا الامر الذي يصعب علينا تصديقه وهو انه مزمع ان يحصل في المجمع المذكور بعض تغييرات تتعلق بكنيستنا الشرقية اليونانية بسلب استقلالنا الطائفي ومن حقوق رؤسائنا وتبديل عوايد كنيستنا ... فاحترازا من حدوث بعض تغييرات في طقسنا اليوناني او تجديد بعض قضايا غير جارية في نظام كنيستنا الشرقية اليونانية المقدسة وعوايدها وحقوقها وطقوسها وسلطان بطريركها المغبوط ومطارنتها الجليلين ، بادرنا بتقديم عريضتنا هذه الاحترامية لسيادتكم التي بها نظهر معلنين عدم قبولنا ادنى تغيير واقل زيادة واخف تفسيح شي مطلقا مما غير دارج في نظام كنيستنا الشرقية اليونانية حتى ولو كان بتفسيح يوم الاربعا الذي هو قطاعة ان يصير بياض لا نقبل به مطلقا ... »

ثم يعربون عن ثقتهم « بحقانية وعدالة قداسة الاب الاقدس » آملين « انه يحافظ على عوايدنا ... ولا يسمح بان نكون موضوع هزء الى باقي الشعوب المتفرقة الذين نحن بينهم... كما انه لا يسمح قداسته قط بتجديد بعض قضايا او بسلب بعض حقوق لهذه الكنيسة الشرقية اليونانية لاجلها يفر هاربين من حضن الكنيسة الكاثوليكية الجامعة اولئك الذين اعتنقوا جديدا ايمانها المقدس في ابرشيتكم المباركة وفي غير ابرشيات ايضا ، ويجعل مانعا للمبادرين بتكاثر الى اعتناقه ايضا كما هو امر مشهور ومعلوم ، لا بل ان الابرشية ذاتها تصير لا سمح الله لداعي التغييرات أو التجديدات في الاضمحلال والخراب ... » (١٣) .

ولا تقل صراحة وعنفا لهجة الرسالة ــ التقرير التي بعث بها مجهول الى البطريرك الملكي يطلعه على الوضع في بيروت وقد اقتطفنا اعلاه جملة منها . وهي بتاريخ ٢٧ ايلول ١٨٦٩ وتقع في ٤ صفحات كبيرة . نكتفي الان بذكر هذا المقطع منها : « والبعض من ابناء الطائفة هنا كانوا افتكروا يعملوا بروتيسبو **(كذا ، بدل :**

---

١٣ ــ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث صورة لهذه الوثيقة تحمل ٢١ توقيعا بينها عائلات : عربش ، الحداد ، اندراوس ، ساره ، بطون ، الزحلاوي ...

بروتستنو) سلفا على رومية انهم لا يقبلوا على طايفتهم ولا على اكليروسهم ولا مادة من المسموعات وانهم يرسلوه رأسا الى روميه بواسطة ما ويرسلوا نسخته لطوباويتكم . وبعده رجعوا قالوا كل هذا ما هو لازمهم حتى ولا رجا احدا بهذا الخصوص . بل انهم هما واولادهم بعدهم (حيث اعطوهم هكذا توصيات) ان باي وقت كان متى نظروا ادنى مادة ام سمعوا بها من طرف روميه ان كانت مشتهرة ام روسا الطايفة الكنايسيين قبلوا بها سرا لوقت ما . حالا يتركوا كنيستهم (وان طوايف الروم والبروتستانت موجودين وفاتحين لهم احضانهم) ... » . وقد جاء في هذا التقرير المهم قبل هذه الجملة بقليل ما يلي . وهو شيء مذهل حقا ويدل بأجلى بيان على الحالة النفسية الغريبة التي كانت سائدة آنذاك : « وترون غبطتكم كثيرين من ابناء الطايفة هنا يتكلموا بكل حرية ان تلك الغفلة التي كانت شاملة اجدادهم وابهاتهم بأفكارهم ان الخارج عن شركة رومية لا ينال الخلاص الابدي . فكل هذا قد زال من سنة ١٨٥٠ الى الان من حينما تمدنت مدن الشرق بفتح المدارس الخ وانهم لا يعتبروا ولا يصدقوا هذا الكلام ويلوموا سلفاهم على تصديقه ولكن يقولوا انهم معذورين نظرا لظلام الاعصار الماضية ... » (١٤) !

قلنا سابقا ان امور الدين كانت تهم الناس جدا لان الشعب المسيحي كان شديد التعلق بايمانه يعيشه بجدية وعمق . فكل ما يمس الدين كان يمسهم في الصميم ، والقضايا الدينية كانت في نظرهم وفي واقع حياتهم قضايا جوهرية بل مصيرية . لذا اعيان الطائفة في كل بلدة تباحثوا في التغييرات التي يمكن ان تحدث وتبادلوا الرأي في عواقب حدوثها . لكنهم لم يكتفوا بالتشاور فيما بينهم ضمن نطاق البلدة الضيق ، بل تعدوه الى اوسع منه واتصلوا مشافهة ومكاتبة باخوتهم في المدن والمناطق الاخرى مثيرين اهتمامهم وساعين الى موقف موحد . وقد عثرنا على رسالة تلفت الانتباه كتبها اعيان دمشق « الى محروسة مصر القاهرة » بتاريخ

١٤ – راجع الحاشية رقم ١١ . وما بين هلالين ورد هكذا في الاصل .

٢٧ ايلول ١٨٦٩ هذه اهم مقاطعها : « ... من مدة ليست بيسيرة وردت بعض تحارير مترادفة من الجهات الى جملة اشخاص بمدينتنا هذه المفيدة بان بهذا المجمع نفسه مزمع ان يحصل بعض تغييرات تتعلق بكنيستنا الشرقية اليونانية بسلب استقلالنا الطائفي ومس حقوق روسائنا وتبديل عوايد كنيستنا. ومن جرّى هذا التواتر فقد انوجد عند اخواننا وابناء طايفتنا بهذا الطرف البلابل والشغب بما لا يستطاع شرحه ... الا انه عند تلاوتنا الآية الداودية القايلة (تهيأت ولم أتعربس) فقصدنا من باب المداركة والاحتياط بأن نتخابر سرا مع جماهيركم الجليلة العزيزة لكي نكون مجتمعين الى واحد (بالقلب والراي والعمل) (كما نحن واحد في الايمان والكنيسة والملة) حيث لا توجد الطايفة مرة ثانية هدفا لاضرار جديدة مثلما حدث قبلا بوقت تبديل الحساب (ولين كان هو تبديلا ايجابيا ولا يمس الجنسية والاستقلال الطايفي)...لم يكن هذا الخراب سوى من اعلان منشور الحساب بالكنيسة فجة قبل اجتماع الآراء من متقدمي الطايفة بعموم الابرشيات ، ونرى صوابيا انه لو وجدنا متحدين بمحبة خالصة على خير الملة والوطن بمقصد واحد لما كان حدث هذا الخراب الجسيم ... وبما ان الاوقات الصعبة الحالية الواقعين بها بسماحه تعالى وتعاسة الاشغال ومصاعبها هي كافية ولا تتحمل الانفس مصاعب لسنا محتاجين اليها بوقوع انقسامات وبلابل جديدة ، واخيرا لا سمح الله عوضا عن مكسب الكنيسة من المرتدين اليها يتمزق جسم الطايفة بتفريق الراي . ومن حيث ان معلمنا الالهي يصرح لنا القول بان كل بيت ينقسم على ذاته يخرب ... وامر مقرر ومسلم عند الجميع ان القوة بالاجتماع (وبالتفريق الضعف والتلاشي) ، ومن ثم اذ كنا نرغب من اقصى افيدتنا للاهتمام بكلما تخولناه من المناسبات الشخصية والمكانية والزمانية المحاذرة والابتعاد عن اسباب الانقسام مع المحاماة العادلة (اللهم ضمن حدود حفظ ايماننا الكاثوليكي المقدس مع المحافظة على ارتباطنا بالاتحاد الدايم والشراكة الثابتة مع الكنيسة الرومانية الجامعة ام جميع الكنايس ومعلمتهن) ، فلذلك نترجى من

حضراتكم بأن تتحركوا بالغيرة الجنسية لخير العموم والوطن بالمذاكرة بين أشخاصكم العزيزة بمداركة هذا الامر المهم سلفا قبل سقوطنا لا سمح الله بالارتكابات الذي فيما بعد يعسر معالجتها وبرؤها . وبالفرض والتقدير اذا كان ما تواتر الان بالقول مزمع أن يكون صحيحا بالفعل فماذا يجب علينا مداركته من الان ؟ كما وان فطنتكم الذكية التي تدرك عدم مناسبة تسليم هذه المخابرة والعمل لعموم الشعب حذرا من وقوع الشغب والشكوك والخطايا في أمر بعد لم تتحقق كيفية حدوثه وانتهاه فلهذا نؤمل بان يكون سلوكنا بمخابرة هذا الشان مع حضراتكم بالكتمان توفيرا لامور لا خير فيها . ومشوراتكم الصالحة الذي يلهمكم اليها جل شانه نرجو ان تتكرموا علينا بايضاحها سريعا قبل توجه السادات الاساقفة من هذه الاطراف ، لكونه امر معلوم بان بدون رضاهم وتساهلهم فلا تسلب حقوقنا ، وحيث ان الغاية والصالح واحد لنكون جميعنا مرتبطين بقلب واتفاق واحد ونجري سوية المساعي اللازمة للاتحاد العمومي ... » (١٥) .

لعل هذه الرسالة ومثيلاتها مما لم تصل اليه يدنا او سبقتنا اليه يد الضياع تشكل مع الردود عليها نقطة الانطلاق للعرائض التي قدمها أعيان الطائفة في أغلب مدن الشرق الكبرى الى مطارنتهم او الى البطريرك . وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بتنظيم حركة العرائض. ولعل الشام بالذات كانت لولب الحركة ومحورها. فان الافكار الرئيسية التي تتضمنها رسالة اعيانها الى «ارخندوس» القاهرة تشكل النقاط الاساسية في كل العرائض التي طالعناها وسنطلع القراء على اهم ما جاء فيها .

لم يكتفِ وجوه الملكيين في دمشق باثارة موضوع التغييرات على النطاق الطائفي بل تعدوه الى النطاق الدبلوماسي فأوفدوا

---

١٥ – محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث النسخة الاصليه وهي تحمل ٤٣ توقيعا وختما منها : عبدالله بولاد ، روفائيل عنحوري ، موسى بحرى ، دمر ، طويل ، شلهوب ، شاوي ، عكاوي ، كحيل ، خباز ، قيومجي ، سمور ، زغيب ، زلحف ... وما بين هلالين ورد هكذا في الاصل .

أربعة منهم الى قنصل فرنسا في دمشق فقابلوه في آخر ايلول١٨٦٩ وقالوا له « انهم يخشون من قبل البابا تدابير امتنعوا عن ذكرها مفصلة تؤدي في نظرهم الى الغاء طقسهم تماما وان بين الروم الكاثوليك اجماعا ضد تبني هذه التدابير . وهي ستؤدي حتما الى اعتناق الطائفة كلها تقريبا الطقس الشرقي لا حوالي ستين عائلة فقط كما حدث عند أصلاح الحساب » . وابلغوه انهم يلجأون الى فرنسا في هذه الملمة . ويضيف القنصل في تقريره الى وزير الخارجية : « لقد أفهموني ان الطائفة الملكية لن توافق على سفر بطريركها الى رومة الا اذا اكدت لها حكومة الامبراطور ان المجمع لن يمس بسوء الحقوق المرعية التي هي اساس وجود طقسهم »(١٦)!

اما اعيان زحلة فقد حرروا مع اقتراب موعد المجمع في اوائل تشرين الاول معروضا « الى قدس السادات رؤساء الاساقفة واساقفة الثلاثة كراسي البطريركية الكاثوليكية الانطاكية والاورشليمية والاسكندرانية الكليي الشرف والاحترام » يشيرون فيه الى « الاقاويل والتفسيرات مختلفة الانواع جالبة لعموم ابناء طايفتنا التعب وسلب الراحة » ثم يضيفون : « فاحتسابا من ان نسقط باعظم منما سبقنا به لداعي مناداة واتباع الحساب الغربي اقتضى اننا مقدمين اعراضنا لغبطته الواصل طيه مفتوحا لكي غب اطلاع طهارتكم جميعا عليه تقدموه لغبطته ، مع الرجا ان تكونوا مع طوباويته صوتا واحدا ويدا واحدة لصد اي سبب كان كليا ام جزئيا يسلب راحة اولادكم ابناء الطايفة ويفتح لها باب الهرب من حضن امها الكنيسة المقدسة والابتعاد عنها . الامر الذي يكدر ويتعب ذواتكم الشريفة والغير ممكن ارتداده . وحبا بالاختصار اكتفينا بعدم اطالة الشرح بهذه القضية التي ذكاء غيرتكم الشفاقة تذكر عواقبها واخصه منما سبق بمادة الحساب ... » (١٧) .

---

١٦ – عن تقرير لقنصل فرنسا في دمشق بتاريخ ٣٠ ايلول ١٨٦٩ : مقال الاب حجار ، القسم الاول ، ص ٤٤٠ .

١٧ – محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث النسخة الاصلية مع صورة عنها وهما تحملان ٢٩ توقيعا ، كل توقيع مع ختمه ، بينها هذه العائلات : معلوف (٦ اسماء) ، زرزور ، جحا ، البريدي ، مسلم (اسمان)،

هذا « الاعراض » الى البطريرك مؤرخ في ٦ تشرين الاول ١٨٦٩ . كالرسالة الى المطارنة ، وفيه تذكير باصلاح الحساب وما نتج عنه من بلبلة وخسارة رغم انه « مادة جزئية غير مثلمة شيئا » من حقوق الطايفة او عوايدها . « فكيف تكون الحالة اذا لا سمح الله تعالى صدر في المجمع المحكي عنه شيئا مما يثلم حقوق بطاركة واساقفة كنيستنا اليونانية مع طقوسها ورسوماتها ... وبالاخص كيف الضلالة تكون اعظم اذا انسبق احدا من الاساقفة او من خلافهم وصادق عليه . فاحتسابا من الوقوع بما ذكر وهربا من اننا نلوم ذواتنا بذواتنا اقتضى مسبقا تقدمة اعراضنا هذا لطوباويتكم . به نفصح لغبطتكم اننا لا نريد ولا نقبل ان يسلب من حقوق بطاركة واساقفة كنيستنا اليونانية شيئا كليا ، ولا ان يثلم من طقوسها ورسوماتها شيئا بل تبقى سالمة من دون خلل ، لا بل نرغب ان تتثبت ايضا كما تثبتت في مجامع مسكونية سالفة ... ونحن لولا الآلام التي حلت بنا مما سبق لما كنا تجاسرنا بتقدمة اعراضنا هذا الذي صادر منا عن دالة ابنية ... » (١٨) .

لم يحتج أعيان زحلة الى تحرير نسخ كثيرة من رسالتهم الى المطارنة بل اكتفوا بواحدة ، ذلك ان احبار الطائفة كانوا مجتمعين في دمشق . فقد رأى البطريرك انه نظرا الى تفاقم الحال لا بد له من الاجتماع الى مطارنته لبحث الوضع المتأزم وتبادل الآراء والتشاور في قضية الاشتراك في المجمع المسكوني ، فدعاهم الى عقد سينودس في دمشق . فحضروا كلهم ما عدا اثناسيوس توتنجي مطران طرابلس (١٩) ، والبطريرك المستقيل بحوث طبعا.

عبدالله خاطر ، عطا (يوسف وانطون) ، بو خاطر (يوسف وفارس) ، قادري (اسمان) ، سكاف (الياس وناصيف) ...

١٨ ـ محفوظات عين‌تراز : ملف الفاتيكاني الاول، حيث صورة الاعراض فقط.

١٩ ـ المطران غريغوريوس عطا : خبرية سفري الى المجمع الفاتيكاني المنعقد في رومية ورجوعي ، نشرها وترجمها الى الفرنسية وعلق عليها بحثا حسنا المنسنيور نصرالله في كتابه : « ملاحظات ووثائق تفيد تاريخ بطريركية انطاكية الملكية » (بالفرنسية) ، الجزء الاول ، القدس ١٩٦٥ ، ص ٤٧ . سنحيل اليه هكذا : عطا : خبرية سفري .

دام الاجتماع من ٧ الى ١٠ تشرين الاول ، وفي اليوم الاول اصدر السينودس هذا القرار الخطير نثبته بحرفه بسبب اهميته القصوى :

« نحن الموقعين اسمانا ادناه قد اتفقنا وتعاهدنا بحفظ ما يأتي ذكره :

« أولا ان الذين يتوجهون الى روميه للاشتراك بالمجمع المسكوني الفاتيكاني يلتزمون باتفاق راي واتحاد عزم ان يحاموا ويحافظوا على حقوق وانعامات وعوايد وتهذيب وطقوس كنيستنا الشرقية الكاثوليكية سوا كانت هذه الاشياء تلاحظ الكرسي البطريركي ام كراسي مطارنته او الرهبنات او سياسة الكنيسة بالعموم والسلطة وهكذا الذين من الاساقفة لا يستطيعوا التوجه يلتزمون بالمحافظة عينها نظير المتوجهين .

« ثانيا قد صار الاتفاق بتغيير **(أو : بتقييد ؟)** العادة الجارية بانتخاب الاساقفة للكراسي المترملة تطبيقا لعوايد كنيستنا الشرقية القديمة .

في ٧ تشرين اول سنة ١٨٦٩
بدمشق الشام

امضى هذا القرار التاريخي الاحبار الآتيةاسماؤهم: البطريرك غريغوريوس (يوسف) ، ايوانيكيوس (مساميري) مطران بالميراس . امبروسيوس (عبده) مطران الفرزل وزحلة والبقاع . غريغوريوس عطا ريس اساقفة حمص وحماة وتوابعهما . اغابيوس (دوماني) مطران عكا وما يليها ، اغناتيوس (عكاوي) ريس اساقفة بصرى وحوران ، اغابيوس (رياشي) مطران بيروت وجبيل، ثاوضوسيوس (قيومجي) مطران صيدا ودير القمر ، بولس (حاتم) متروبوليت حلب وسلوكية ، اثناسيوس (خوام) ريس اساقفة صور . ومكاريوس (حداد) مطران قلاية انطاكية (٢٠) .

يلاحظ القارىء انه لا ذكر لكرسي بعلبك ، وسبب ذلك ان

٢٠ ـ عن النسخة الاصلية في محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول .

« كير ملاتيوس فنده مطران بعلبك كان توفي بذلك الاثناء . وبعد ايام قليلة ارتسم خليفة له كير باسيليوس ناصر **(الذي اختاره السينودس في هذا الاجتماع عينه)** ... فثلاثة من العشرة المجتمعين اعتذروا عن السفر **(الى رومة)** وهم كير اغابيوس بيروت وكيرمكاريوس حداد وكير يوانيكيوس بالميراس ... وهكذا سبعة من الذين كانوا بالاجتماع اعتمدوا على السفر . وكير باسيليوس بعلبك الذي ارتسم في اثناء هذا الاجتماع اعتمد يسافر ايضا »(٢١).

لا شك ان ما اتفق عليه السينودس قد سر الطائفة وخفف من قلقها . « الا انهم لم يقرروا بعد الموقف الذي سيقفونه فيما اذا لم تثمر جهودهم . وهذا ما ابقى على كل مخاوف اعيان الطائفة . كما يقول قنصل فرنسا في دمشق ، الذين ينوون القيام بمسعى جديد لدى القنصلية كما بلغني » (٢٢) . وهذا ما حمل الطائفة على العودة الى الى العرائض ترسلها تباعا الى المطارنة والى البطريرك . ففي ١١ تشرين الاول وجه اعيان بيروت الى مطرانهم « اعراضا » يؤكدون له فيه « محبتهم المفرطة ومحافظتهم الصميمة حتى الدم على حقوق طايفتهم » وانهم كانوا دوما ولا يزالون ثابتين « على حالة واحدة راسخة بلا تغيير خلاصتها مبدأان عظيمان احدهما التمسك غيرة بعصمة الايمان الكاثوليكي مع الطاعة والمحبة الخالصة للكرسي الرسولي المقدس والخضوع التام لرياسة قدس الاب الاقدس ابي المؤمنين العام ، وثانيهما بمحبة ليست بأقل عظمة وغيرة بحقوقنا وطقوسنا وعوايدنا هذه .. نعتبر ان المحافظة على طقوسنا وعوايدنا وحقوقنا الطايفية هي بمنزلة واحدة مع المحافظة على ايماننا الكاثوليكي المقدس وعلى

---

٢١ — عطا : خبرية سفري ، ص ٤٧ . الواقع ان الرياشي لم يأتِ الى المجمع بسبب موقفه المتين مدة الخلاف على اصلاح الحساب ، اما المساميري فكان ايضا من اشد مقاومي الحساب الجديد وانضم بسبب ذلك الى الكنيسة الارثوذكسية وفيها سيم مطرانا ، ثم نجح البطريرك يوسف في اعادته الى الكثلكة. وواضح انه لا يليق بمن كانت هذه حاله ان يشترك في المجمع المسكوني .

٢٢ — في تقرير بتاريخ ١٨ تسرين الاول ١٨٦٩ : مقال الاب حجار ، القسم الاول ، ص ٤٤٤ .

ارتباطنا بالاتحاد الدايم والشراكة الثابتة مع الكنيسة الرومانية الجامعة المقدسة ام الكنايس ومعلمتهن ... هذه الحقوق .. عليها المعوّل بارجاع المشاقين لحضن الكنيسة » (٢٣) .

وبعد اسبوع واحد فقط تلقى مطران صيدا ودير القمر من أعيان ابرشيته شيئا مماثلا يذكرونه فيه بما حدث من خراب « حين المناداة بالحساب الفوريغورياني الذي هو اثني عشر يوم فقط ... فكم والحالة هذه اذا حصل تغيير ما فكم يكون من الخراب اذا حدث شيء جديد مغاير ما نحن به. فحينئذ بنية وجسم الطايفة يتمزق الى اقسام مختلفة الذي لا تعود لليد استطاعة لجمع الخراف داخل دايرة الايمان المقدس في حضن الكنيسة الجامعة البطرسية ... فلاجل الوقاية من الوقوع في درجة الاضمحلال العظيم اقتضى تجاسرنا بتقديم هذه العريضة لاجل حين اللزوم يصير اعراضها على الاقدام الطاهرة البابوية.. » (٢٤).

وفي ١٩ من الشهر ذاته خاطب اعيان عكا مطرانهم بصراحة. قالوا له : « لا نريد ولا نقبل بملاشاة ادنا شي من حقوق روسانا ورهباننا او حقوقنا وفروضنا وطقوسنا وتقليدات كنيستنا الشرقية المتمسكين بها ولا تجديد شي لا جهرا ولا سرا .. واذا.. صار نسخ شي من حقوق روسانا فبلا شك يكون ذلك سبب موجب الى خراب غير مظنون حيث جميع اولادكم بصوت واحد يتمسكون بما فيه تأييد حقوقهم الشرقية » . وبعد التذكير بحادثة الحساب يضيفون : « انكان بتلك صار تمزيق جسم الطايفةبدرجة محدودة فيكون تمزيق جسم الطايفة غير محتمل وجرحها غير قابل الشفا وموجب للخراب العمومي ... نرجو اعراض عريضتنا هذه

---

٢٣ ــ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث النسخة الاصليه التي تحمل ٥٦ توقيعا بينها هذه العائلات : فرعون ، مدوّر ، عورا ، ارقش ، دهان ، الباشا ، الجاهل ...

٢٤ ــ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث صوره فقط لهذه الوثيقة لا ذكر للتواقيع عليها ، وهي بتاريخ ١٨ تشرين الاول ١٨٦٩ .

على غبطته ايضا ليحيط علمه الشريف ما اوضحناه ... » (٢٥).

وفي ٢١ تشرين الاول بعث اعيان يافا والقدس بعريضة الى البطريرك بالذات يذكرونه « بما سلف حين تبديل الحساب » ثم يتضرعون اليه بحرارة : « نسترحم منك ايها الراعي الودود والسادات الموقرين المحاذرة من وقوع امر يخل او يدقر او يثلم ادنا حق من حقوق كنيستنا الشرقية وامتيازاتها الموسسة من الرسل الاطهار الموطدة من خلافايهم الاحبار حتى لا يعود يتمزق جسم الملة ابنا الكنيسة مرة ثانية حيث لم عاد يحتمل الحال مخاسر ... » (٢٦) .

وكذلك أعيان بعلبك كتبوا الى البطريرك مباشرة في٢٧ تشرين الاول : « ... نحن عموم اولادكم نرغب ان نكون على الدوام ثابتين على حفظ الحقوق والعوايد القديمة ، وبالوقت ذاته نترجاكم اذا كان لا سمح الله عند التيام المجمع يحصل حدوث اشياء مغايرة لطقوسنا وعوايدنا ام تغييرات غير مأمولة حينئذ تفرغوا كمال الغيرة بالمحاذرة الفعالة اذ ان حضرتكم تكونوا المسئولين عن كلما يحدث من راعي الرعاة الحقيقي الذي نناشدكم به ان تتوقوا بدون ملاحظة كل محذور يورث ايجاد الانقسامات والبلابل لان لا احتمال لهذا الخراب المزمع ان يكون اذا حدث شي مع وجود هذه الاوقات الغير ناجحة ... » (٢٧) .

كان البطريرك غريغوريوس يوسف قد قدم بيروت في الثلث

---

٢٥ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث صورة لهذه الوثيقة تحمل ٢٨ توقيعا بينها عائلات : بحوث ، سعد ، ابيض ، حداد ، سلال، ايوب ، حوام ...

٢٦ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث النسخة الاصليه وهي تحمل ١١ توقيعا بينها عائلات : عكاوي ، الملك، صليبا ، عرقتنجي، الجدي، العسيلي ، سيروفيم ، ايوب ...

٢٧ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث صورة لهذه الوثيقة عليها ٢٤ توقيعا بينها عائلات : ملوك (٣ اسماء) ، مطران (٤ اسماء) ، سلامه ، صيدح ، باسيلا ، حداد ، ألوف ...

الاخير من تشرين الاول . فزاره قنصل فرنسا فيها روسو وتحدث اليه . وقد حفظ لنا القنصل تفاصيل هذا الحديث الخطير وما سمعه من البطريرك في تقرير بعث به الى وزير خارجية فرنسا في آخر هذا الشهر عينه . لقد افضى اليه البطريرك بمخاوفه من التغييرات التي ينوي البابا ادخالها على نظام الكنيسة الشرقية . وهذه القضية تسبب له قلقا شديدا . لكنه « قد صح عزمه على مقاومة هذه التعديات التي يعدها خطرة الى الغاية لانها اذا ما تحققت تسبب في رأيه ارتداد قسم معتبر من طائفته سينضم . دون ادنى شك ، مباشرة او لا مباشرة الى الشقاق اليوناني الشرقي ... انا متأكد **(قال البطريرك)** من ان البلاط الروماني يريد أن يصل ، من تنازل الى تنازل ، الى ان يلاشي تماما الامتيازات التي تمتعت بها دوما الكنائس الشرقية. . لكن لا تسيء فهم ما يعني كلامي ، لاني لا ازال ولن ازال واريد ان اظل خاضعا بأمانة واحترام واخلاص للكرسي الرسولي المقدس ولشخص قداسة ابينا البابا . لذا اتساءل احيانا بمرارة هل سأضطر الى الاستقالة من وظيفتي البطركية اذا ما ساند المجمع نوايا روما وأقرها »(٢٨).

كان شهر تشرين الاول اذن شهر العرائض. ان هذه الاصوات الكثيرة ، العنيفة حينا القوية ابدا ، ارتفعت وتعالت وتداخلت فألفت سنفونية احتجاج واعتراض . وهي على اختلاف منشئها وتعدد لهجاتها تبسط كلها الافكار الرئيسية عينها : ان الاشاعات القائلة بأن المجمع سيحدث تغييرات في نظام الكنيسة الشرقية قد سببت لنا قلقا شديدا ، ومع اننا كعلمانيين لا دخل لنا بالامور العقائدية الا ان احوال الطائفة تهمنا ولا نريدها تخرب من جديد . ان اصلاح الحساب قد اوقع في الطائفة انقساما خطيرا وخسارة جسيمة ، فكيف بسلب حقوق الطائفة والغاء امتيازاتها ؟ نحن واثقون من ان عدل البابا و « حقانيته » لن يسمحا بحصول ما يجلب الاضرار الفادحة ، سيما وان عوائد الطائفة وانظمتها قد كرستها أجيال طويلة وثبتتها المجامع المسكونية المقدسة وأمر

---

٢٨ ــ مقال الاب حجار ، القسم الاول ، ص ٤٤٥ ــ ٤٤٦ .

بحفظها الاحبار الرومانيون (يستشهدون خصوصا بالمجمع الفلورنسي وبمناشير البابوات ، ومنهم من يذكر رسالة البابا بيوس التاسع نفسه الى الشرقيين سنة ١٨٤٨) . ان هذه التغييرات ستغلق الباب في وجه رجوع المنفصلين الى الوحدة ، بل انها ستحمل المتحدين على الرجوع الى الانفصال . لهذه الاسباب نحن لا نقبل بحدوث اي تغيير ولا بابطال اية عادة .

لا ريب ان اطلاع البطريرك غريغوريوس يوسف على هذا السيل من الكلام المدعوم بمثل هذه الحجج البينات . علاوة على ما خبره بنفسه وعرفه بذاته ، قد جعله على يقين من خطورة الحالة . فانه اذا قبل ما يرغب به البابا عرّض طائفته للانقسام بل الخراب وتعرض لنقمتها بل ثورتها عليه ، واذا سلك بموجب رغبة الطائفة تعرض لغضب البابا والبروبغندا ولضغوطهما ولما لا يدري غير الله من مصير . امام هذا الاختيار الصعب بين موقفين كلاهما وخيم العاقبة مر وقف البطريرك يفكر ويتأمل ، لكنه لم يتردد لحظة : فان مكانه الطبيعي والموقف الوحيد الذي يمليه عليه ضميره هو أن يكون مع طائفته ، مع وحدتها ، مع تاريخها ، مع امانيها المحقة . على هذا صح عزمه واتكل على الله وسافر الى رومة .

في رومة

أبحر البطريرك غريغوريوس يوسف الى رومة في ٩ تشرين الثاني على متن باخرة نمساوية — لا ننس ان النمسا كانت « المحامية » عن الروم الكاثوليك — وكان برفقته اثنان من مطارنته (٢٩) : كير عبده مطران زحلة وكيرباسيليوس ناصر مطران بعلبك الجديد . اما باقي مطارنة الطائفة فكانوا قد سبقوهم الى رومة اذ ابحروا في ٢٦ تشرين الاول — على ظهر مركب نمساوي ايضا — فوصلوها في ٨ تشرين الثاني ، وقابلوا الكردينال برنابو ثم قداسة البابا . وبعد عشرين يوما من وصولهم قدم بطريركهم

---

٢٩ — انظر تقرير قنصل فرنسا في بيروت بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٨٦٩ : مقال الاب حجار ، القسم الاول ، ص ٤٤٦ .

رومة . اما البطريرك المستقيل بحوث فقد سافر وحيدا . واذا استثنينا مطران صيدا قيومجي الذي اقام في الوكالة المخلصية عند اخيه رئيسها (ولعل بحوث اقام فيها ايضا) ، فقد اقام مطارنة الطائفة في مكان واحد هو « دير القديس كريسوغونوس مختص برهبان تريتان » أي التياتيين . « وتعين لغبطته (أي البطريرك يوسف) محل لائق قريب الينا » (٣٠) .

وتنادى بعض المطارنة الشرقيين لزيارة سفير فرنسا فيرومة. وكان بينهم بعض المطارنة الملكيين ، فقابلوه وعرضوا له احوال طوائفهم ومخاوفهم من التغييرات المحتملة . على حد ما ذكر السفير في تقرير الى وزير خارجيته جاء فيه بعد هذا الخبر ما يلي : « وقد اهتممت في ابلاغ بعض مطارنتنا (الفرنسيين) عن المساعدة التي يمكن ان يقدمها لهم زملاؤهم الشرقيون مقابل مساندتهم في مقاومة الاتجاهات غير الفطنة في البروبغندا وممثليها في الشرق . تلك الاتجاهات التي تهدف الى ليتنة الطوائف الكاثوليكية رغم ممانعتها . . . » (٣١) .

ان هذا النص الصريح يدل بوضوح على تبادل التأييد الذي حصل بين المطارنة الشرقيين وبين المطارنة الفرنسيين . فقد وجد كل من الفريقين في الآخر عونا له وسندا . لذلك لا يجوز أبدا القول ان المطارنة الشرقيين قد « طبقهم » الفرنسيون او غيرهم من مقاومي العصمة ، وهذا القول من الاخطاء الشائعة جدا اخذ به دون أي وجه حق مؤرخون كنسيون اعلام (٣٢) . ولا حجة لهم فيما ذهبوا اليه سوى احكام مسبقة واستنتاجات محض عقلية

---

٣٠ ــ عطا : خبرية سفري . ص ٤٧ ــ ٤٨ .

٣١ ــ مقال الاب حجار . القسم الاول . ص ٤٥٠ .

٣٢ ــ مثلا : اوبير : بابوية بيوس التاسع (المجلد ٢١ من «تاريخ الكنيسة» بادارة فليش ومارتن) ، ١٩٥٢ ، ص ٣٢٩ ــ كورولفسكي في مقاله : انطاكية ، في قاموس التاريخ والجغرافية الكنسيين ، المجلد ٣ . عامود ٦٦١ ــ موسيه : تاريخ النصرانية خصوصا في الشرق ، المجلد ٣ . حريصا ١٩٤٩ ، ص ١٤٤ . (كل هذا بالفرنسية) .

لا اساس لها في الواقع ولا في الوثائق التاريخية . وقد بينا بجلاء وبرهنا بما لا يدع أي مجال للشك ان موقف الاحبار الملكيين في المجمع كان ينبع من قناعة داخلية وليدة اهتماماتهم الراعوية . وانهم قرروا اتخاذ هذا الموقف قبل ان يبرحوا الشرق ، اذن قبل ان يتصلوا بأحد من المطارنة الغربيين فرنسيين كانوا ام المانيين .

في ٨ كانون الاول افتتح المجمع المسكوني الفاتيكاني الاول باحتفال عظيم . « فجلس قداسته في الصدر بالنصف على كرسيه السامي ، كما يروي غريغوريوس عطا مطران حمص وهو شاهد عيان ، وعلى جانبه مصاف الكردينالية وامامهم في الوسط البطاركة من الجانبين فجلس على الجانب اليمين البطريرك القسطنطيني اللاتيني تسمية نعمه ، ومن بعده بطريركنا بحسب كونه البطريرك الانطاكي ، ومن بعده البطريرك الاورشليمي اللاتيني ، وبعده بطريرك الكلدان (الذي اعتياديا يسمى بطريرك بابل) وبعده البطريرك اكليمنضوس بحوث ، ومن جانب الشمال البطريرك الاسكندري اللاتيني بطريرك نعمه ، وبعده البطريرك الانطاكي تسمية نعمه وبعده بطريرك الهند اللاتيني ، وبعده بطريرك فينيسيا مثله وبعده بطريرك الارمن (الذي يسمى بطريرك كيليكيا) . وهكذا تلاحظت بجلستهم قدمية رسامتهم ما عدا تقدم الكراسي مثلا القسطنطيني على الاسكندري » (٣٣) . لكن بكل اسف لم يُراعَ الفرق العظيم بين مرتبة البطريرك الشرفية محضا عند اللاتين وبين رتبة البطريرك الفعلية عند الشرقيين ، وهكذا تقدم بطريرك بالاسم على بطريرك بالفعل ! ناهيك عن تقدم الكرادلة على البطاركة وهو امر ينافي التقليد القديم . اما تقدم الكراسي البطريركية الواحد على الآخر فقد روعي فيه ما اتبع في مجمع فلورنسا . وساعد عدم اشتراك البطريرك الماروني في المجمع على تلافي مشكلة تقدمه على البطريرك الملكي او تقدم هذا عليه . وقد سر الملكيين المقام الذي احتله في الجلسة بطريركهم ، فأنا نقرأ في « خبرية افتتاح المجمع المسكوني الفاتيكاني » ، وهي ورقة كبيرة كتبها واحد منهم في ١٥ كانون

---

٣٣ ـ عطا : خبرية سفري ، ص ٤٨ ـ ٤٩ .

الاول سنة ١٨٦٩ : « وغبطة بطريركنا قد جلس من بعد البطريرك القسطنطيني فوق بقية البطاركة الاخر » (٣٤) .

كانت الطائفة في الشرق تنتظر اخبار المجمع بلهفة وقلق. ولم يفارقها الخوف بل بالعكس ازداد بسبب ما بلغهم من اخبار واشاعات . فبعثت بعض الابرشيات بعرائض الى رعاتها في رومة تعرب فيها عن مشاعرها وهواجسها . ففي ٢٠ تشرين الثاني أرسل اعيان ابرشية صور الى مطرانهم يخبرونه عن « ريح زعاف بلبل سلامنا وأزعج هدونا وهو تواتر صادر من بعض الافراد بانه بهذا المجمع مزمع بان يحصل بعض تغييرات تنافي عوايد وطقوس كنيستنا الشرقية اليونانية وتأذن بسلب استقلالنا الطايفي وتمس حقوق روسائنا واكليروسنا ، ومن جرّى هذا التواتر قد انوجد عند ابنا الطايفة بهذه الابرشية تأويلات مختلفة الانحاء اوجبت البلابل والشغب بما لا يستطاع شرحه . ونتيجته انهم ثابتون على الامانة الكاثوليكية طالما محفوظة حقوقهم وطقوسهم وعوايدهم التي لا يقبلون انثلامها بادنى شي البتة » ، ثم يذكرونه بالاضرار والخسارة التي ألمت بالطائفة « بوقت التغيير الحسابي »ويضيفون: « قد أجتمعنا جميعا بروح الله لاجل مداركة هذا الامر وغب ان استدعينا هذا الروح الكلي قدسه بان يلهمنا بما يناسب مجده تعالى قد قر راينا بتكذيب هذا التواتر وان نطمن عموم شعب الابرشية ... وان نوضح لهم بان هذا المحذور غير ممكن وقوعه واننا لا يمكن ان نسلم به مطلقا ... نلتمس من حنوكم الابوي بانه بافتراض حدوث ما لا يمكن حدوثه من التغييرات الذي تمس طقوس وحقوق وعوايد الطايفة وروسايها لا ترتضوا سيادتكم ولا تسلموا بشي من ذلك ... نتوسل اليكم بالدم الالهي بأن تحاذروا على هذا الامر المهم الذي به الكفاية ان يمزق جسم الطايفة بنوع لا يمكن استرجاعه ، وان لا سمح الله تساهلتم بذلك فكامل الاضرار والخراب التي تحصل للنفوس بواسطة تساهلكم نطلبها

٣٤ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول .

من سيادتكم بالموقف العظيم ... » (٣٥) .

أما اعيان دمشق فقد بعثوا الى البطريرك برسالة مؤرخة في يوم افتتاح المجمع بالذات . ومما جاء فيها بعد الكلام عما « يذاع في هذه الجهات من التقولات عن ان بالمجمع المسكوني... سيحدث تنقيص ما بحقوق بطريركية طايفتنا ... مع تغييرات تلاحظ الطقوس الى غير ذلك من المزعومات » : « بما ان الاضرار الكلية والشكوك الجسيمة التي تلازم ذلك في فرضية صدق المقول سواء كان للخارجين عن الوحدة الكاثوليكية بمزيد نفورهم من الانقياد للاتحاد الخلاصي او لابنا الطايفة الكاثوليكيين انفسهم بانشقاقهم عن الكنيسة وضياع نفوسهم ... ومع سبيل الاحتياط . مقدمون طي عرضحالنا هذا معروضا عموميا لقداسة الحبر الاعظم عربي العبارة ممهورا من اولادكم كلنا صورته باللغة الفرنساوية تسهيلا للمطالعة ، ففب تشريفه بأنواركم الكريمة اذا كان تلك المقولات يوجد لبعضها أساس وكانت الترجمة موافقة للاصل بدون تحريف معانيها فنستمد من طوباويتكم ان تقدموهم لقداسته ، واذا وجد في الترجمة غلطا فنرجى ان تقدم العربية بوحدها بالطريقة التي ترونها اكثر موافقة ... » ، ثم يذكرون البطريرك بما وعدهم به في منشوره الرابع في ١٨ تشرين الاول ١٨٦٤ ، وهو جواب على تهنئة الدمشقيين له ، وفيه تعهد المحافظة على حقوق الطايفة وتقاليدها . وفي الختام يحملونه « مسؤولية كلما يحدث بسبب مس حقوق وتهذيب كنيستنا » (٣٦) .

ولا يزال معروض اعيان دمشق الى البابا محفوظا في ترجمته الفرنسية ـ التي لا تخلو من الاخطاء ـ وفي نسخة منه عربية . وهذا ملخصه : يبدأ الدمشقيون كالعادة بوصف فرحهم عندما

---

٣٥ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث صورة لهذه الوثيقه عليها ٢١ توقيعا بينها عائلات : نقولا ، ايوب (اسمان) ، بيروتي (٣ اسماء) ، فاخوري ، زيدان ...

٣٦ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث صورة فقط لهذه الوثيقة لا ذكر للتواقيع عليها ، وهي بتاريخ ٨ كانون الاول ١٨٦٩ .

سمعوا بالدعوة الى مجمع مسكوني • ثم يقولون ان ذوي الاراجيف والمآرب الفاسدة « اشاعوا بهذه الاطراف بل وباقسام سورية وفلسطين ومصر والجهات الاخر ما يخالف الحق بالكلية بان بهذا المجمع سيطرأ على تهذيب الشرقيين وحقوقهم الالفا والتبديل من ابدال وتعديل ومس حقوق التولية البيعية وسلب الاختصاصات الاسقفية مع البطريركية الى غير ذلك من المقولات العادمة الاساس لمناقضتها روح الكنيسة الجامعة ونهج الكرسي الرسولي » . ولاثبات هذا يستشهدون بمراسيم الاحبار الرومانيين:اكليمنضوس الثاني عشر في رسالته الى قزما بطريرك الاسكندرية سنة ١٧٣١ لما طلب الاتحاد مع الكنيسة الرومانية • وبنادكتوس الرابع عشر في رسالته العامة سنة ١٧٥٥ ، ويذكرون البابا بيوس التاسع بما كتبه هو نفسه سنة ١٨٤٨ في منشوره الى الشرقيين وسنة ١٨٦٢ في رسالة له اخرى ، واخيرا وخصوصا يذكرون منشور البابا اوجانيوس في نهاية المجمع الفلورنتيني سنة ١٤٣٩ . ثم يحذرون البابا : « ان احداث ولو ادنى تغيير لطقوس الكنايس الشرقية وطايفتنا الرومية وعوايدها وحقوقها ... سيجلب عكس الغاية المقصودة بالمجمع اضرارا لا مزيد عليها للبيعة ودثارا للانفس وشكا للاراتقة والمشاقين والامم بل وسقوطا للمومنين انفسهم وابعادا شاهقا للمشاقين من ان يرتدوا يوما ما لايمان ابايهم الكاثوليكي المقدس والاتحاد بشركة وطاعة الكرسي الرسولي » ، ويضيفون ان الشرقيين شديدو التعلق بطقوسهم وتقاليد كنايسهم « يقتبل الايمان مع آداب تلك الكنيسة ويتلقن بطقوسها وتهذيبها وعوايدها واختصاصاتها باتحاد كذا حتى كان لا يمكن ترك احد هذين الشيئين ولين كانا (متميزين) بدون ترك الاخر » • فاذا مست طقوسنا أو ابطلت امتيازاتنا « نخاف بالصواب من نفور الكثيرين وسد باب الارتداد للوحدة الكاثوليكية تجاه المشاقين مع تعرضنا لشماتة الاراتقة والمشاقين وحماقة الامم » ، وهذا ما لن تقبله غيرة البابا الرعائية (٣٧) .

---

٣٧ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول ، حيث النص العربي والترجمة الفرنسية .

لم ينس اساقفة الطائفة ، حتى قبل ورود هذه الرسالة وهذا المعروض الخطيرين ، ما تلقوه من عرائض وما شهدوه من قلق وهياج في ابرشياتهم . وقد سبق لنا ان اوضحنا انهم ذهبوا الى رومة مصممين على مقاومة كل محاولة لتغيير الطقوس او التقاليد أو الانظمة . لكن يبدو انهم شعروا بحاجة الى دليل مادي يجسد اتفاقهم ويثبته ويوطده ، فحرروا في ٤ كانون الثاني ١٨٧٠ معروضا تاريخيا قدموه الى بطريركهم هذا اهم ما ورد فيه :
« ... غير خافي غبطتكم ايضا الهيج الذي جد الان عندما صارت المناداة بالمجمع المسكوني الحاضر فيما بين شعوب ابرشيات طايفتنا كلها بسبب الاشاعات التي اشيعت عن تنقيص حقوق الطوايف الشرقية وبطاركتها في امر انتخاب الاساقفة وخلافه كما وبسبب الاختباط الصاير في القسطنطينية بين اخوتنا الارمن الكاثوليك وبطريركهم . وهذه الاضطرابات قد ازعجت غبطتكم وايانا قبل مبارحتنا الشرق نظرا لتمسك شعبنا في طقوسهم وعوايدهم ... وحتى الان وردت ولم تزل ترد الاعراضات من الابرشيات بهذا الشان كما تعلمون غبطتكم ، وبها يظهرون استعداداتهم الى ترك الايمان الكاثوليكي اذا تغير شي من حقوق وطقوس طايفتنا الشرقية. فبناء عليه نعلن لغبطتكم خلاصا لذمتنا وغيرة على خير طايفتنا اننا لا نقبل ولا نرضى... ولا نصادق على تغيير شي من حقوق الكرسي البطريركي وكراسي اساقفته ومن طقوسنا وعوايدنا المسلمة لنا من ابائنا اذ انها غير منافية المعتقد الكاثوليكي المقدس ، الامر الذي غبطتكم ملتزمين بالمحافظة عليه اكثر التزاما منا ، لاننا نعلم يقينا انه بخلاف ذلك نفقد الجزء الاعظم من طايفتنا اذ ينحازوا الى الانشقاق وينغلق الباب تماما دون رجوع المشاقين الينا . فلاجل ذلك اقتضى تقديم اعراضنا هذا لغبطتكم الذي كل منا حفظ بيده نسخته تحت اختام جميعنا اسقاطا للمسئولية عنه امام الله والشعب وتركها على شخص غبطتكم الجليل... » (٣٨) . أمضى هذه الوثيقة جميع مطارنة الطائفة المشتركين في المجمع المسكوني .

٣٨ ـ عن نسخة اصلية في محفوظات دير المخلص : وثائق سنة ١٨٧٠ .

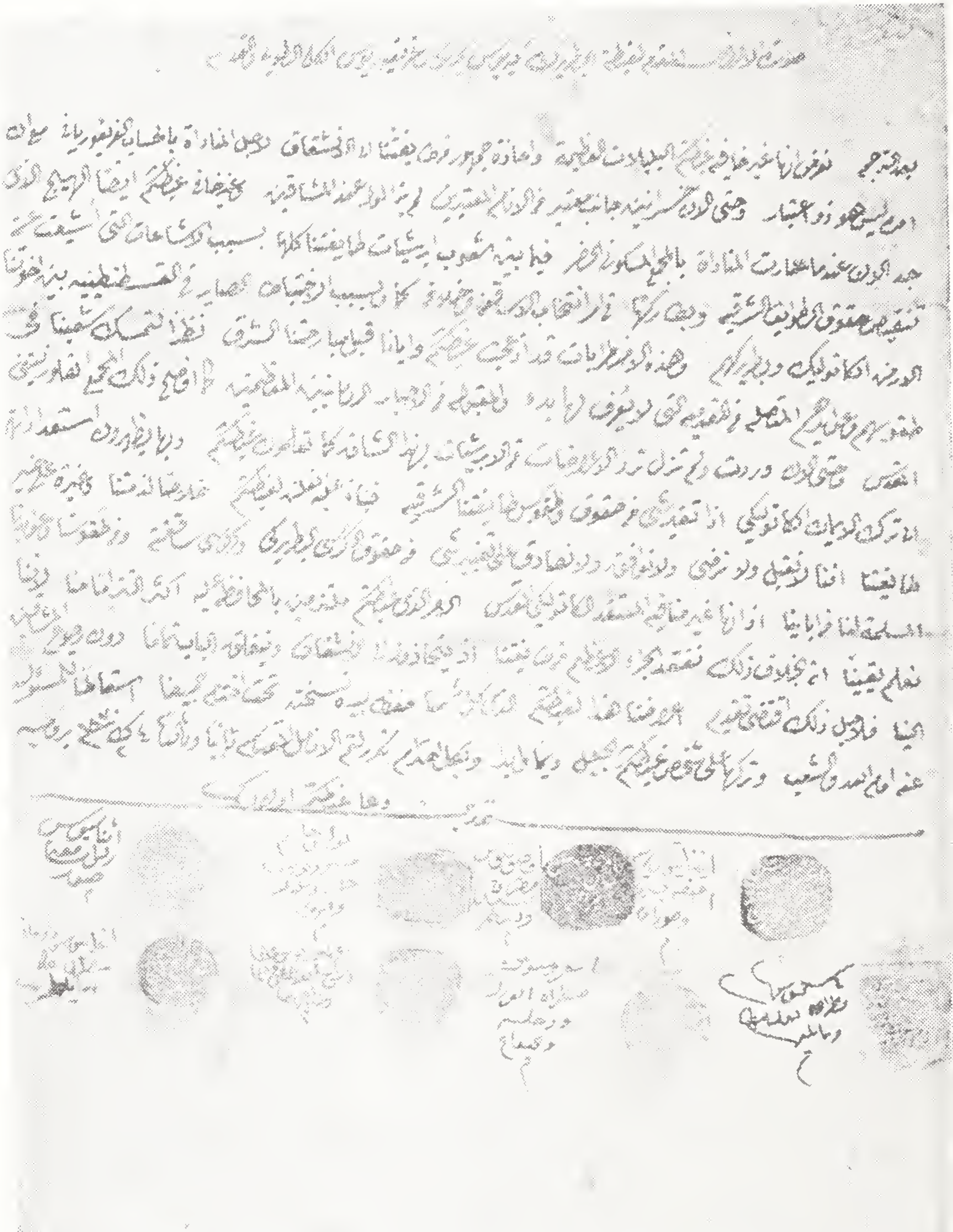

اتفاقية المطارنة الملكيين في ١٨٧٠/١/٤ برومية

وغني عن البيان ان البطريرك غريغوريوس يوسف كان يوافقهم في الرأي والقصد . ان هذا الاتفاق في الرأي والتصرف كان ميزة أحبار الطائفة الملكية في الفاتيكاني الاول ، كما كان ميزتهم في الفاتيكاني الثاني .

« اساقفتنا ، يقول شاهد عيان معاصر ، بروح واحد مع ريسهم مبتعدين عن التردد لعند روسا هذا المكان . الامر المقلق أفكارهم وجاعل لهم المديح من العموم لوحد حالهم ... للان الامور سالكة بدون انثلام لما نحن به ولا يمكن يصير تسليم بشي مما يثلم حقوق الكرسي البطريركي ولا بما يتعلق **(بامور)** الكنيسة الشرقية. طمنوا افكار الجميع من هذا القبيل ، ولا تعلنوا شي عن اسمنا لانه مضر لنا ، وحالا لاشوا تحاريرنا ودمتم » (٣٩) . وقد اهتم البطريرك الملكي كثيرا بوحدة مطارنته مقاوما محاولات تفريقهم . جاء في رسالة بخط يده ، لكن دون توقيع ولا تاريخ ، في هذا الخصوص : « لا يخلو من يريد تفسيخهم **(والضمير يعود الى مطارنته)** لاننا بين مطارنة العالم ما عدا الاسبانيول شرقيين وغربيين ملفلفين حولنا مطارنتنا ، فهذا يصعب على البعض وقد قاله فاليركا علنا انه لامر مكرب ان مطارنة الملكيين متحدين كلهم مع بطريركهم ، فأقله بين السريان والموارنة والكلدان والارمن يوجد من هو مع ومن هو ضد ، واما هولاي فجميعهم ضد اذ هم متحدون مع بطريركهم الذي هو ضد ... » (٤٠)

لم يكن يهم الطائفة الملكية من المجمع وابحاثه سوى المحافظة على الطقوس الشرقية وعلى التقاليد والانظمة التي سار عليها الشرق اجيالا . لذلك اقتصر نشاط احبارها على هذه الناحية . ولم يبرز منهم احد ما عدا البطريرك ، ولم يشتركوا فعليا في اعمال المجمع الا عند بحث قضية الاولية البابوية والعصمة . من جهة

---

٣٩ – من تحرير غفل (التوقيع م ع فقط) ارسل من رومة الى «الاكسرخس الخوري بولص مسديه » بدمشق في ٢٦ كانون الثاني ١٨٧٠ ، محفوظات عين تراز: ملف الفاتيكاني الاول .

٤٠ – محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول .

اللجان المجمعية كان البطريرك عضوا في لجنة الاقتراحات، والسيد عبده مطران زحلة عضوا في «لجنة الطقوس الشرقية والرسالات».

تعاون الاحبار الملكيون مع « الاقلية » المناوئة للعصمة في المجمع سعيا وراء الوصول الى الهدف المشترك ، فقامت بين الفريقين علاقات مبنية على اتفاق الرأي والمساندة والمعاضدة في سبيل ما حسبوا فيه رضى الحقيقة وخير الكنيسة . فلما قدمت الاقلية العريضة المشهورة التي عرفت بعريضة الـ ١٥٠ ضد تحديد العصمة البابوية ايدها جميع الاحبار الملكيين . واليك ما جاء في تقرير ارسله سفير فرنسا في رومة الى وزير خارجيته في ٢٦ كانون الثاني : « لقد اتصل كثير من اساقفتنا بالشرقيين وابدوا استعدادهم لتأييدهم . والشرقيون من جهتهم ، ويهمهم بنوع خاص ان لا تثار قضية العصمة ، قد وقعوا باعداد كثيرة عريضة الـ ١٥٠ . فان ١٥ منهم قد وقعوها على نسخة منفصلة ، و ٣ ارمن وقعوا على العريضة الفرنسية ، واثنان على العريضة الالمانية » (٤١) . وعلى العريضة الشرقية ، وهي بتاريخ ١٨ كانون الثاني ، تواقيع البطركين يوسف وبحوث والثمانية الاساقفة الملكيين جميعا .

في ٢٥ كانون الثاني ، في الجلسة العمومية السادسة عشرة، قرىء خطاب البطريرك اودو . ونجد صدى لهذا الحادث في الرسالة الغفل السابق ذكرها الى الاكسرخس مسديه : « بطرك الكلدان عمل خطبة جميلة مكلفا بتلوتها احد اساقفة فرانسا لاتينية العبارة فحواها ان علاقت **(كذا !)** الشرق بالكرسي البطرسي علاقة دينية لا تهذيبية فغير ممكن نسلم بتغيير شي من سلب حقوق وعوايد ام طقوس طقسنا » (٤٢) . احدث الخطاب ضجة عظيمة جدا وكان له وقع شديد . لكن البابا ارسل في طلب البطريرك اودو ، على ان يأتي وحده غير مصحوب بأحد ، وزجره ونهره واضطره قسرا الى القبول بكل ما فرضته براءة « رفيرسوروس »

---

٤١ ـ مقال الاب حجار ، القسم الاول ، ص ٤٥٣ .

٤٢ ـ راجع الحاشية رقم ٣٩ .

على الارمن وبغير ذلك مما يخالف الحقوق البطريركية . وكان اودو في الثمانين من عمره . فكان لهذا الحادث أسوأ الاثر في نفس زميله البطريرك يوسف . وقد صارح بذلك سفير فرنسا في رومة. فاخبر هذا بدوره وزير خارجيته قال : « جاء البطريرك الملكي يروي لي بكثير من التأثر هذا الحادث المؤسف . وقد صرح لي انه . وهو مهدد كباقي رؤساء الكنيسة الشرقية ، قد صح عزمه على ان يقاوم . وانه قد يخطب هو ايضا في المجمع . وقد يرسل البابا ايضا في طلبه . لكنه ليس في سن الثمانين ولن يرضخ . ثم حدثني عن الضغط الشديد الذي تمارسه البروبغندا على الاساقفة الشرقيين . هذا الضغط الذي يشكل المنسنيور فاليركا والمنسنيور حسون اشد ادواته نشاطا ... » (٤٣) . ومما زاد في قلق البطريرك يوسف من سوء معاملة البابا لرصيفه اودو انه كان قد قرر منذ ذلك الوقت القاء خطبة في المعنى ذاته، فانا نقرأ فيالرسالة الغفل الى الاكسرخس مسديه ، التي ذكرناها سابقا ، وهي بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ، بعد الكلام عن خطاب اودو : « غبطة بطريركنا بالجلسة الاخرى يخطب على هذا النسق » (٤٤) .

كان البطريرك الملكي حريصا اشد الحرص على وحدة مطارنة كرسيه وقد اهتم بها وكافح في سبيل الحفاظ عليها ، وظل ابدا يخشى عليها بسبب مناورات البروبغندا الهادفة الى شق عصا الاحبار الملكيين ، حتى انه صار يرغب في عودتهم الى الشرق. وكان لبعضهم من الاسباب الوجيهة ما يحمله على مغادرة رومة غير آسف . « فنحن اذ كانت صحتنا لم تعتدل في رومية، يقول المطران عطا في خبرية سفره الى المجمع ، وكل اعمال المجمع والخطب باللاتيني . فلا نعرف هذه اللغة، وابرشيتنا حصل بها بعض احتياج لرجوعنا ، فمن ثم اتفقنا مع قدس الاخ كيراغناتيوس **(عكاوي)** ... على الرجوع من حيث انه صادف الظروف المذكورة نفسها » . طلب اذن عطا وعكاوي الاذن بالعودة ، فنالا الموافقة في ١٤ شباط

٤٣ ـ مقال الاب حجار ، القسم الاول ، ص ٤٥٣ .

٤٤ ـ راجع الحاشية رقم ٣٩ .

وغادرا رومة في ١١ اذار (٤٥) . وفي أول نيسان استأذن اسقفان ملكيان آخران في العودة الى الشرق فسمح لهما بذلك . وهما اغابيوس دوماني مطران عكا وبولس حاتم مطران حلب . اما الاسباب التي تذرعا بها فهي ذاتها : الصحة واحتياج الرعية الى وجودهما معها (٤٦) . هكذا لم يبقَ من الاحبار الملكيين سوى البطركين وأربعة مطارنة فقط . وقد أثارت عوده المطارنة الاربعة الآخرين دهشة واستغرابا في الشرق . فسئل عنها البطريرك يوسف فكان هذا جوابه : « اما رجوع الاساقفة اجوازا واجوازا فهو منا لاننا وجدنا ان عدم وجودهم في رومية في هذه العاصفة المهولة هو اخف . فكنظير من يطرح الوسق عند خطر الغرق هكذا وجدنا ضروري أصراف كل المطارنة . ولو يمكننا توجيه الاخرين لم نتأخر لان وجودهم تعب وقلق لفكرنا حيث لا يخلو من يريد تفسيخهم ... » (٤٧) .

هنا لا بد من الاشارة الى حادث ذي مغزى . كان البابا قد أصدر امرا باقامة معرض جديد عام «للصنائع والفنون الكاثوليكية» افتتحه هو بذاته في ١٧ شباط . وكان في جملة المعروضات « في فسيح ساحة محل الرهبان الكرتوسيين » الملابس الكهنوتية والاشياء الكنسية المستعملة في الطقوس الشرقية . قال البابا ملمحا الى ذلك : « ابتغيت ان القي لدى الحاظ الجميع الملابس المختلفة وعلائم المقامات الكنائسية المتنوعة املا بالحصول على تسوية مبتفاة هذا ان امكن ذلك . فليحط علما اولوا الابصار . فاني لا اتكلم ههنا اصلا عن الطقوس الشرقية التي أبتغي أبقاءها على ما هي عليه . وها اني ارى ههنا حضرة روساء الكنائس الشرقية فلتطمئن قلوبهم . فانهم يبقون دائما على عوائدهم الجليلة المقدسة . غير اني لا ابتغي سوى امر واحد وهو اننا نزداد اتفاقا نظرا لامر التهذيب . اما الهيئة الخارجة فلا تمس ولا تتغير » .

---

٤٥ ـ عطا : خبرية سفري ، ص ٦٣ .

٤٦ ـ مقال الاب حجار ، ص ٦ من القسم الثاني .

٤٧ ـ في الرسالة المذكورة في الحاشية رقم ٤٠ ، وهي بخط البطريرك ، لكنها غير مؤرخة ولا توقيع عليها .

« قال قداسته هذا ولاحت منه التفاتة الى غبطة بطاركة المشرق وسيادة اساقفته فاعتجبوا منذهلين . لقد اتضح ما كان من الدسائس الخبيثة التي حاول روح الظلام ان يزرع بها زيوان الفساد بالمشرق اذ ادّعى هذا الروح الخبيث بأن السدة الرسولية تبتغي تغيير الطقوس الشرقية . فحرك الطوائف على المدافعة عن عوائدهم وكنائسهم . فلاحت اذ ذاك علايم الفرح والابتهاج على جباه اولئك السادات الكرام » (٤٨) . كلا ، ليس في ما قاله البابا ما يدعو الى الفرح والابتهاج ، بل بالعكس تماما . فلم تكن المشكلة في « ابقاء » الطقوس الشرقية او ازالتها ، بل في اختلاف « التهذيب » والانظمة ما بين الكنيستين الشرقية والغربية ، هذا الاختلاف الذي يبتغي البابا القضاء عليه حال ان الشرقيين يصرون على التمسك به ، لان وحدة الايمان لا تفرض وحدة النظام . وقد برهن سفير فرنسا في رومة عن ذكاء ثاقب وفهم حاد حين علق على هذا الحادث بقوله : « كانت كلمات الاب الاقدس قد وقعت في نفوس البطريرك والاساقفة الشرقيين الحاضرين موقع رضى يشكل على الاقل شهادة جديدة على نفور اعضاء كنائس الشرق من ليتنتهم » (٤٩) .

لنعد الان الى اعمال المجمع . في ١٢ نيسان صار التصويت على مشروع القرار عن الايمان الكاثوليكي ، فامتنع اغلب البطاركة الشرقيين وحذا حذوهم كثير من اساقفتهم . وكان البطريرك غريغوريوس يوسف طبعا بين المتنعين ، اما البطريرك المستقيل بحوث فصوّت بالايجاب ، لكن الاحبار الشرقيين عادوا عن امتناعهم

---

٤٨ ـ اخذنا ما كتبناه عن هذا المعرض وما اوردناه من كلام البابا من الصحيفة الاسبوعية التي اصدرها اليسوعيون في بيروت بمناسبة انعقاد المجمع واسموها « المجمع الفاتيكاني » ، ص ١٠٩ ـ ١١١ . وقد تصفحنا كل اعداد هذا «الجرنال» ، كما كانوا يدعونه ، فألفيناه منحازا الى اولية البابا وعصمته انحيازا لا مزيد عليه . صدر العدد الاول منه في ١ كانون الثاني ١٨٧٠ والعدد الـ ٣٥ والاخير في ٢٧ آب ١٨٧٠ .

٤٩ ـ في تقرير له بتاريخ ٢١ شباط ١٨٧٠ : مقال حجار ، ص ٢ من القسم الثاني .

ووافقوا على هذا الدستور العقائدي في جلسة المجمع العمومية الثالثة في ٢٤ نيسان . كانت هذه القضية في نظر الاساقفة الملكيين أمرا غير ذي بال ، فقد كان اهتمامهم منصبا على مشكلة العصمة منذ ان طرحت على بساط البحث ، اي منذ ابتداء المجمع ، لانها في يقينهم اهم القضايا واخطرها وابعدها أثرا في حياة كنيستهم وفي ايمان ابنائها . وقد رأينا مساهمتهم في العرائض التي قدمت بهذا الخصوص . وفي ٩ شباط اجتمعت اللجنة الموكول اليها النظر في اقتراحات آباء المجمع . واستمعت في جملة من استمعت اليهم الى البطريرك الملكي يعرض رأيه في اقتراح بحث العصمة البابوية . اقر غريغوريوس يوسف انه كان قبلا يرى تحديد العصمة غير مناسب ، مع انه شخصيا يؤمن بها، لان هذا التحديد من شأنه أن يزيد في صعوبة رجوع الاخوة المنفصلين الى الوحدة، فأولية البابا تشكل لهم عائقا كبيرا فكم بالاحرى عصمته اذا اضحت عقيدة ايمانية ! اما الان فقد ازدادت مخاوفه من عواقب تحديد العصمة . لكن الحجج التي قدّمها خصومه هي في نظره جديرة بالاعتبار ولا تخلو من قوة ، لذا فهو يدع بتّ الامر لقداسة البابا (٥٠) .

في اثناء ذلك اوفد المطارنة الشرقيون في المجمع رسلا الى الشرق يحرضون الكهنة والمؤمنين على ارسال عرائض لتقدم الى البابا ضد ادخال أي تغيير في علاقات احبار الشرق وطوائفه بالكرسي الرسولي . وفي أواسط نيسان صُرف النظر عن فكرة العرائض بناء على تعليمات وردت من المطارنة الشرقيين المجتمعين في رومة (٥١) . ولعل السبب في العدول عن هذه الفكرة اقتناع المطارنة بعدم جدواها بعد ان رأوا بأم العين ان معارضة حوالي ١٤٠ اسقفا لم تنفعهم بنافعة .

---

٥٠ ـ راجع كتاب الاب حجار ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

٥١ ـ استقينا هذه المعلومات من تقريرين لقنصل فرنسا في حلب ، الاول بتاريخ ١٢ نيسان والثاني في ١٩ نيسان ايضا ١٨٧٠ : مقال الاب حجار ، ص ٨ و ١٠ خصوصا من القسم الثاني .

ولعله من المفيد ان نلاحظ ان الحكومة التركية اهتمت كثيرا بالازمة التي نشبت في طائفة الارمن الكاثوليك بسبب براءة « رفيرسوروس » وادت الى اضطراب حبل الامن بنوع خطير . لذا حاول الباب العالي ان يمنع تجدد اسباب مثل هذه الازمة في الطوائف الاخرى ويقف في وجه ادخال تغييرات تمس تقاليد الكنائس الشرقية وتبطل انظمتها خوفا من حصول ما لا تحمد عقباه . فارسل مبعوثا خاصا يدعى رستم بك للتفاوض مع الكرسي الروماني في هذه الامور . كانت الحكومة التركية تناصر الاساقفة الشرقيين ، وهم من رعاياها ، ضد رومة (٥٢) .

واخيرا في١٢ ايار بدأت مناقشة مشكلة اوليةالبابا وعصمته. وفي ١٩ ايار ، في الجلسة ٥٤ ، تلا البطريرك غريغوريوس يوسف خطابه الاول على مسامع حوالي ٥٨٠ من آباء المجمع. كان الخطاب مكتوبا باللغة اللاتينية – لا ننس ان مؤلفه من تلاميذ رومة وقد قضى فيها سنوات – . يبدأ البطريرك باعلان ايمانه برئاسة الحبر الروماني وحقوقه ، ثم يوضح حالا انه يتكلم واضعا نصب عينيه ما فيه خير الكنيسة الشرقية الخالدة المجيدة او ضررها . انطلاقا من وجهة النظر هذه يعيب البطريرك على مشروع المرسوم انه يجعل من الروم المنفصلين هراطقة ويرشقهم بالحرم ، مما يضاد شفقة الكنيسة الكاثوليكية . ويعيب عليه اهماله ذكر حقوق البطاركة عكس مرسوم مجمع فلورنسا الذي يأمر بعد تحديد رئاسة البابا حالا « بان تحفظ غير منثلمة حقوق وانعامات البطاركة الآخرين الممنوحة لهم من المجامع والقوانين » . ان حذف هذه الاضافة مع تحديد سلطة البابا انها « سلطة اسقفية اعتيادية غير متوسطة » « تزعزع الروم الكاثوليك من مركز الوحدة وتجلب بتوكيد كلي اليأس على الروم كي لا يتحدوا ابدا » . « فكيف يمكن ان الكاثوليك يثبتون في هذا الايمان والمشاقين يرجعون الى الاتحاد اذ يشاهدون في هذا المرسوم انهدام حصن استقلالهم وخسران

---

٥٢ – راجع عن وفادة رستم بك ومهمته : مقال الاب حجار ، ص ١٠ وما يليها من القسم الثاني .

كراسيهم البطركية من الشرف والحقوق ؟ » . ويستشهد البطريرك بقوانين المجامع المسكونية السابقة وبأقوال الاحبار الرومانيين ، بما فيه بيوس التاسع نفسه ، ليؤكد على ضرورة المحافظة على حقوق البطاركة وعلى امتيازات الكنائس الشرقية لافتا النظر الى ان « رسم الكنيسة وجد هكذا عند الشرقيين منذ القديم حتى الى هذه الاوقات وهو ان كنيسة المسيح العامة تتوزع بحق قانوني الى خمسة بطريركيات وتتجمع بحق الهي في واحد متقدم على الآخرين » . ثم يعلن بصراحة : « ان كان يستعمل هذا التحديد المسطر في القانون الثالث وفي الراس الثالث ففي ان يقلب اساسات الكنيسة اليونانية يجلب خرابها وملاشاتها وبالتالي ضميرنا الرعاوي ينبذ قبول هذا المرسوم » . وفي الختام يخاطب البطريرك آباء المجمع بالفاظ بالغة التأثير : « هوذا اوضحت باتضاع ما يطلبه خير الكنيسة الشرقية ... انا بكل توسل وتذلل اطلب بأن يوتى فقط بالقانون الفلورنتيني بكماله أي باضافة ذاك الشرط (ونجدد) ... لا يسوغ لنا ان نتناسى المحبة عندما نتعاطى امور الايمان ... لا افتكر ان نيتنا هي ندهك الجنس البشري بكثرة القواعد الدينية والحرومات وبالتالي يجب ان نتعشم بان احكام هذا المجمع تكون مفيدة لخلاص النفوس لا لوضع اشراك لها ولا لتلافها ، لاننا نحن رعاة والله سيطلب منا نحن الرعاة ومن أيدينا نفسها دم الخراف الناطقة » (٥٣) .

كان لهذا الكلام وقع بليغ في نفوس الآباء . « ان الخطاب المهم في هذه الجلسة ، يقول سفير فرنسا ، هو خطاب البطريرك الملكي غريغوريوس يوسف . فقد طالب بشدة بالمحافظة على حقوق كنائس الشرق ، وعرض بعلم وموهبة تاريخ علاقات هذه الكنائس مع رومة ... وحارب انطلاقا من وجهة النظر هذه القرار « عن الحبر الاعظم » . ان خطاب البطريرك الملكي ، وقد انصت اليه القوم بانتباه ، رد احسن رد على احد الاتهامات التي يرشقون بها في

---

٥٣ ــ طالع نص هذا الخطاب كاملا في موضع آخر .

البروبفندا المطارنة الشرقيين وهو الاتهام بالجهل ... » (٥٤) .

ارتاح اعضاء « الاقلية » اعظم الارتياح لهذا الخطاب القيم . بقدر ما انزعج خصومهم . وكان لا بد للاكثرية الساعية الى تحديد العصمة من الرد على اقوال البطريرك غريغوريوس حتى لا يبقى اثرها عالقا في النفوس . فانبرى للدفاع البطريرك الارمني حسون. ورد على رصيفه الملكي ردا مباشرا عنيفا في ٢٣ ايار مظهرا الاخطار الكامنة في ما ذهب اليه ومشددا على ان حقوق البطاركة ليست حقوقا الهية . خلَّف هذا الرد أسوأ الاثر في نفوس الاساقفة الشرقيين المناوئين لتحديد العصمة ، « فقد ارتكب بطريرك قيليقية في نظرهم خيانة حقيقية تجاه اخوانه الشرقيين » . كما اعلنوا لسفير فرنسا في رومة ولمبعوث الباب العالي (٥٥) . وفي ٣١ ايار عارض البطريرك فاليرغا البطريرك الملكي وانتقد رأيه بعنف واتهمه بالفاليكانية التي ينبغي ان يرذلها هذا المجمع كما رذل المجمع القسطنطيني سنة ٦٨٠ بدعة المشيئة الواحدة ! ولا يقل عن هذين الردين عنفا وغلاظة رد السيد بهنام بني مطران الموصل السرياني الذي هاجم في ٩ حزيران ما قاله غريغوريوس يوسف مستخفا بحقوق البطاركة ومدعيا ان تحديد اولية البابا لا يشكل اي خطر على ايمان الشرقيين الكاثوليك ما لم يقم بينهم أحبار مثل مرقس الافسسي يذيعون ان المجمع حرم الشرق استقلاله وحريته . اما الروم الارثوذكس فانه « لا شيء يجعلهم يحبذون الكنيسة الكاثوليكية مثل تحديد القرارات « عن الحبر الروماني » ... اذ انه بهذا سيفتح لهم الطريق واسعا للعودة الى الكنيسة» !!! (٥٦).

بعد هذه الاقوال المفرقة في الضلال وهذا التلميح المهين لم يعد بمقدور البطريرك الملكي ان يصمت . كان عليه ان يتكلم فيشرح

---

٥٤ ـ تقرير سفير فرنسا في رومة بتاريخ ٢٥ ايار ١٨٧٠ : مقال الاب حجار. ص ٢٣ من القسم الثاني .

٥٥ ـ المرجع المذكور في الحاشية السابقة .

٥٦ ـ انظر مختصر هذا الخطاب مع نخبة منه في ص ٨٢ ـ ٨٣ من كتاب المنسنيور نصرالله المذكور اعلاه في الحاشية رقم ١٩ .

آراءه ويرد على من تصدى له . فعل ذلك بلطف وكبر نفس وثبات، رغم معرفته الاكيدة باستياء البابا من مثل موقفه . القى خطابه الثاني في الجلسة ٧١ في ١٤ حزيران . اعلن في المطلع انه « يعترف بتقدم الحبر الروماني بالشرف والولاية في كنيسة المسيح العامة». ثم كرر المطالبة بحفظ حقوق البطاركة التي اقرتها المجامع المسكونية قبل الانشقاق وتعهد الاحبار الرومانيون باحترامها والتمسك بها فان « صورة الاقرار الذي يصنعوه الاحبار في انتخابهم تحتوي على الوعد بحفظ المجامع المسكونية بالحرف وباندار وحفظ كل ما انذرت به ورتبته المجامع المذكورة » . ثم صرح قائلا : « انا الذي اسوس الروم الملكيين عندما حاميت عن قضية السياسة البطريركية السائدة في الشرق ما تكلمت عن ذاتي ولا عن بيتي ، بل بنظر ارفع وبقوة قلب رسولي ناضلت عن الكنيسة الشرقية بأجمعها وعن تلك الكنيسة المنشقة منا التي اشتهي من صميم قلبي ان ترجع الى الاتحاد مع الكنيسة الحقيقية ، فالذي خاصمني لاجل اني حملت ذاتي حمل هذه المحاماة فلا اخاصمه انا بل هو مبرز حكمه على ذاته » . اما عن الاخطار الناجمة عن عدم الاعتراف بحقوق الكنائس الشرقية ، فقد اورد البطريرك لآباء المجمع جملة من تحرير ارسل اليه « في الشهر الماضي من الشرق وانقله لكم بالحرف : بلغنا ان رومية تقصد ادخال بعض تغييرات في الكنيسة الشرقية فان كنت تسلم في حق من الحقوق والعوايد الطائفية او البطركية او تتنازل عنها فنحن لا نعرفك علينا بطريركا وبالمثل ان اقيم آخر خلافك فلا نعرفه ولا نقبله » . لقد احتمل الملكيون اضطهادات كثيرة وطويلة لاجل ايمانهم الكاثوليكي ، « فهذا الشعب الذي تحمل كل هذه المضايق والذي لا يقدر ان ينسى ماضيه وسوابقه يستحق كل التفاتكم وانعطافكم » . ثم ان تحديد الاولية البابوية دون ذكر حقوق البطاركة سيكون له أسوأ الأثر عند الطوائف الشرقية المنشقة اذ ان بطاركتها « سيبتعدون ابعد البعد عن الاتحاد ... فكيف يجوز لنا ان نزيد الموانع والصعوبات حتى تصد الصلح والمسالمة ... قد استمر مفتوحا الى الآن الباب الذي يدخل به الخارجون الى حضن الكنيسة فيا له من عجب كيف

يوجد البعض الذين يريدون الان غلقه او قفله بالتمام » . لكل هذه الاسباب يطالب البطريرك بترك الامور كما هي حتى لا تفقد البيعة سلامها ويضيع كل امل برجوع المنفصلين . واخيرا يختم مناشدا آباء المجمع : « لا تعجبوا اذا كنت في مداولتي معكم عن هذا الفصل الثالث اطلب بكل حرارة اولا ان في المرسوم المختص برياسة البابا لا يطلق فيه الحرم ... ثانيا ان هذا المرسوم لا يكون سوى تجديد ما حدده قبلا المجمع الفلورنتيني ، ثالثا ان يندرج في محل مناسب في هذا الفصل الثالث المرسوم التهذيبي المحتوم به في هذا المجمع نفسه بأن تحفظ من دون انثلام حقوق وانعامات البطاركة القدماء . فالذي قررته اخضعه لحكمكم الصائب . » (٥٧) .

يظهر بجلاء من خلاصة هذين الخطابين المتقنين العظيمين – ونرغب بحرارة الى القراء الكرام ان يطالعوا نصهما الكامل – ان البطريرك غريغوريوس يوسف كان في الواقع ممثل الكنيسة الشرقية بأسرها في المجمع الفاتيكاني الاول ، فقد تكلم باسمها وباسمها عارض . كان مستقبلي النظرة ، وقد ارتفع الى مستوى القضايا المصيرية ، فحامى عن الشرق الكاثوليكي دون ان يغيب الشرق الارثوذكسي عن باله لحظة . لقد خط لطائفته الطريق التي تميزها واعطى وجودها معناه الحقيقي : انها جسر يصل الارثوذكسية بالكثلكة ، تتصل بكلتيهما فيما كلتاهما تريدها لها وحدها وتطلب منها قطع روابطها بالاخرى ، تحتاجها الاثنتان رغم ازعاجها المتواصل لهما . ان وضعها لفي غاية الصعوبة تتجاذبها الاثنتان وتشدان بها كل واحدة الى جهتها فكأنها خلقت مصلوبة . وقد لعبت الطائفة الملكية هذا الدور نفسه في المجمع الفاتيكاني الثاني . فكان بطريركها مع اساقفتها يمثلون ايضا الشرق الارثوذكسي كله .

كان البطريرك غريغوريوس يوسف قد تقدم باقتراحين في جملة الاقتراحات المطالبة باصلاح الفصل الثالث من مشروع المرسوم عن الحبر الروماني . الاقتراح الاول يقتضي حذف الفقرة

---

٥٧ – طالع نص هذا الخطاب كاملا في موضع آخر .

الثانية من الفصل الثالث لان ابقاءها قد يعني للبعض الغاء حقوق البطاركة وامتيازات الطوائف الشرقية . تقدم بهذا الاقتراح عينه المطران فانكسا من رومانيا (وكان قد القى خطابا في الجلسة ٦٣ في ٢ حزيران مؤيدا موقف البطريرك الملكي بل ذاهبا الى ابعد منه) . اما الاقتراح الثاني فيطلب الغاء القوانين الثلاثة التي في آخر الفصل الثالث لانها ترشق الروم بالحرم لنكرانهم اولية البابا وتصمهم بالهرطقة . كما انها تجعل من الكنيسة مؤسسة مونرخية مطلقة مما يحمل على الاعتقاد الخاطىء القائل ان الاساقفة ليسوا سوى مبعوثي البابا في الابرشيات ، فتبدو الكنائس المحلية لهذا السبب كأن لها رأسين . درست لجنة الايمان في خمسة اجتماعات كل التصحيحات المقترحة والملاحظات . وصاغت النتائج التي توصلت اليها في قرار معلل قرىء في الجلسة ٨٣ في ٥ تموز . وكان رأي اللجنة ان اقتراحي البطريرك الملكي غير وجيهين ، فالاهتمام بالروم الارثوذكس لا يجوز ان يحول دون تحديد اولية البابا . اما حقوق البطاركة فهي من وضع بشري والمرسوم لا يبحث الا في ما هو من حق الهي ، وعن سلطة الاساقفة يقول المرسوم انها مباشرة واعتيادية فهي اذن عكس السلطة المكتسبة بالتفويض . لكنها تظل سلطة غير مستقلة خاضعة لسلطة البابا . بهذه الاسباب بررت لجنة الايمان عدم اخذها باقتراحي غريغوريوس يوسف (٥٨) .

في ١٣ تموز صار التصويت على مجمل مشروع القرار . فصوت البطريرك الملكي بالنفي ، وحذا حذوه اثنان من مطارنته كانا لا يزالان في رومة ، اما البطريرك المستقيل بحوث فقد صوت بالايجاب . ولم يحضر البطريرك يوسف الجلسة العمومية الرابعة في ١٨ تموز التي فيها صار التصويت بحضور البابا بالذات على المرسوم العقائدي « الراعي الابدي » ، لم يحضر لانه كان قد غادر رومة . لكن امبروسيوس عبده مطران زحلة حضرها وعاد عن معارضته فصوّت بالايجاب (مانسي . مجلد ٥٣ . عامود ١٠١٦).

---

٥٨ ــ راجع كتاب المنسنيور نصرالله المذكور ، ص ٨٦ .

الاحرى ان نقول ان البطريرك الملكي « نجح » في مفادرة رومة. لانه كان يسعى الى مفادرتها منذ ان اتضح لـه ان لا جـدوى من جهـوده . لكنـه كـان يخشى ان لا يؤذن له بالعودة الى الشرق بسبب موقفه من قضية الاولية والعصمة ، وكان لا بد للاساقفة من اذن خاص للعودة الى بلادهم ، وكان البطريرك يوسف يعرف ان البروبفندا غير راضية عنه وان البابا شخصيا مستاء جدا مـن موقفه الجريء الصريح . ها هو يفصح عن مخاوفه في رسالة الى احدى السيدات : « ... ان صحتنا منة من الله جيدة وهو صاينها كي نقدر نلقى الضربات الحاضرة ... واما نحن فقولوا لها يمكن ان نجد قبرنا في رومية لان راس الحية يجب كسره . فبعد ان سقطنا في الشرك هيهات ان كنا نفلت منه . هذه الاشيا تقـادير علويـة علها محسوبة لنا امام الله الذي لا يضيـع عنـده شي وتكـون في الكفارات عن نقصنا في خدمته ... لربما بعد تحديد العصمة ان كان تنتهي على عيد انتقال العذرا نجتهد ان نستفيد مـن الفسحة الاكم يوم التي تعطى للابا ، فمفتكرون ان نطلب الاذن ولو بوعـد الرجوع فننظر ان كان يعطونا ونسافر ، وان رجعنا اليهـم ورأوا وجهنا فليعملوا كلما يشاؤونه . فهي تقدم صلاة مخصوصة عـلى هذه النية ... » (٥٩)

غادر البطريرك رومة مضطرب البال كسير النفس ، بل قد يكون غادرها جريح الكرامة اذ ان البابا ، على ما يقـال ، انتهـره وأهانه . هذا مـا شاع ولا يزال شائعا في الاوساط الملكية . وهو امر ممكن الوقوع ولا يستغربه احد ممن يعرف سوء طبع البابـا بيوس التاسع ومعاملته غير اللائقـة للبطريـرك الكلدانـي اودو وللكردينال غيدي . لكننا لم نجد لا نحن ولا غيرنـا من الباحثين اثباتا مكتوبا لهذه الحادثة التي نميل الى تصديقها ، لذا لا نعرف بالضبط متى وقعت ، فبينما يزعم البعض ان الامر جرى بعد خطاب البطريرك الاول ، يذهب غيرهم الى انه وقع في زيـارة البطريـرك

---

٥٩ ـ انها ذات الرسالة المذكورة في الحاشيتين ٤٧ و ٤٠ .

الوداعية للبابا قبل عودته الى الشرق ويقول ان البابا اساء معاملة البطريرك وزجره : « يا لهذا الرأس العنيد يا غريغوريوس » (Testa dura, Gregorio) (٦٠) .

انسحب اذن البطريرك الملكي واساقفته من المجمع وغادروا رومة قبل اقرار الاولية البابوية والعصمة واعلانهما عقيدتين ايمانيتين ، مقتدين في هذا بأغلب اعضاء الاقلية . فكان لا بد والحالة هذه من نيل موافقتهم على هاتين العقيدتين . لذا كتب اليهم الكردينال برنابو يطلب منهم ان يعلنوا كتابة قبولهم بما حدده المجمع في جلسته العمومية الرابعة (٦١) .

ولم يكن هذا بالامر اليسير . فان تحديد العقيدة الجديدة اثار ردة فعل عنيفة في الشرق عامة وفي الطائفة الملكية خاصة . يخبرنا قنصل فرنسا في حلب ، في تقرير له بتاريخ ١٢ آب ١٨٧٠ ، ان المطارنة الشرقيين الذين تركوا رومة قبل التصويت على العصمة انما تركوها لانهم ضد هذه العصمة وقد يئسوا من التصدي بنجاح لهذه القضية . ويجب في رأيهم ان يأخذ الكرسي الرسولي بعين الاعتبار عدد الاقلية المعارضة ملاحظا ان اغلب الموافقين هم مطارنة شرف ، ويقولون انه اذا لم يلتفت البابا الى هذه الامور فان معارضي العصمة سيدعون الى انعقاد مجمع مسكوني جديد ، وانهم هم مستعدون للاشتراك فيه بكل قواهم حفاظا على الايمان وعلى تقاليد الكنيسة . « لا يتحدث المطارنة عن هذه القضايا الا برزانة وتحفظ ، لكنهم يرضون بتسامح ذي مغزى ان يتكلم مرؤوسوهم بحرية كبيرة عن المجمع وعن قراراته وعن الوضع الذي وضعت فيه تعاليمه مسيحيي الشرق » (٦٢) . ثم ما لبث هؤلاء المطارنة ان خرجوا عن تحفظهم واخذوا يهاجمون

---

٦٠ ـ روى لنا الحادثة على هذا الشكل اشخاص لهم مركزهم في الطائفة ومطلعون على تاريخها .

٦١ ـ انظر تعريب رسالته الى المطران غريغوريوس عطا في كتاب الاب نصرالله المذكور ، ص ٨٨ .

٦٢ ـ مقال الاب حجار ، ص ٤٢ ـ ٤٣ من القسم الثاني .

صراحة ما حدده المجمع . فان قنصل فرنسا في حلب ذاته يخبر في تقريره التالي ، وهو بتاريخ ٢٢ آب : « ان المطارنة انفسهم بدلوا موقف الانتظار والتحفظ الذي ذكرته في تقريري السابق . وها هم الان يقولون كلاما يلفت انتباه كل من يهتم بأمور الدين المسيحي » . ويسهب القنصل في التحدث عن موقف مطران حلب بولس حاتم « الذي اخذ يصرح ، خصوصا منذ ايام قليلة ، ان مباحثات المجمع المكرم لم تكن حرة الا في الظاهر فقط ، وان جميع المقترحات التي عُرضت صوريا على آباء الكنيسة كان قد سبق بتّها بواسطة اكثرية مهيأة قد تم كسبها وصح عزمها على نيل كل شيء بفعل قوتها . ينتج اذن ان مقررات المجمع لا يمكنها ان تلزم الضمير » . هذه المقررات هي في نظر المطران حاتم غير مطابقة للوصايا الانجيلية وللتقاليد الرسولية ولما اعتقده المسيحيون منذ اجيال واجيال . وفي رأيه انه لا بد من عقد مجمع جديد « يعود الى البساطة الاولية التي كانت ميزة المسيحية في مبادئها واصولها ، واستباقا للبراءات البابوية التي ستطلب من الكاثوليك ان يعترفوا ويقروا بالعقيدة الايمانية الجديدة يعلن المطران حاتم انه لا يسعه ان يعلم في ابرشيته ما لا يؤمن هو به » . ويضيف القنصل مستنتجا : « يستحيل في ظني ان لا ينتج شيء البتة من الهياج الذي اشاهده ، وهو على ما اكدوا لي لا يقل شدة في لبنان وكردستان منه في حلب . . » (٦٣)

لكن رغم ما توقعه القنصل وما كان يتوقعه كل مراقب مطلع. لم ينتج شيء البتة من هذا الهياج العظيم في الطائفة الملكية . ويعود الفضل في ذلك الى حكمة وفطنة وحسن تدبير البطريرك غريغوريوس يوسف ، الذي كتب يقول : « نحن همنا ان نحفظ شرفنا وحياة كنيستنا في الخراب الاخير ، سيما واننا الان نزلنا الى الميدان اضطرارا للمحاماة عن حياتنا . . . » (٦٤) .

بارح البطريرك رومة مبرّح الخاطر مخيب الامل وفي حالة لا يحسد عليها من التمزق الداخلي والقلق الشديد بل العارم . لكنه

---

٦٣ ـ مقال الاب حجار ، ص ٤٦ ـ ٤٨ من القسم الثاني .

٦٤ ـ في رسالته المذكورة اعلاه في الحاشيتين ٤٧ و ٤٠ .

ظل يتابع اخبار المجمع وروما . ها هو البطريرك الكلداني يكتب منها اليه في ٣ آب ١٨٧٠ : « ... اولا بعد سفر غبطتكم من عندنا صرنا كالايتاما في رومية . ثانيا ان سألتم عن اخبار طرفنا ماذا صارت بعد خروج غبطتكم ... نظرا لاثبات العصمة وسلب حقوق البطاركة والاساقفة معلومك ان قدس البابا ثبتهم قايلا ان كافة آبا السينودس رضيوا بذلك عدا الاسقفين فقط لذلك يلزم نثبتهم . مع ان الامر ليس هو كذلك بل ان ماية وستون بطاركة وكردينالية واساقفة ما رضيوا ولا قبلوا ، بل علانية اعلنوا في الجمعية عدم قبولهم ورضاهم في اثباتهم . ومن طرفنا بعد سفر غبطتكم تواجهنا مع كردينال برنابو وصار بيننا كلام كثير وطويل واراد مننا ان نعطي ورقة بها نعلن بأننا راضيين عما ثبته البابا من طرف العصمة وتبطيل حقوق البطاركة الخ فلم نعطيه ، وهكذا خرجنا من عنده بعد الخصومة الطويلة الواقعة فيما بيننا ... » (٦٥)

ولا شك ان الكردينال برنابو طلب كتابة من البطريرك الملكي ما طلبه مشافهة من البطريرك الكلداني : « ورقة بها يعلن انه راضٍ عما ثبته البابا من طرف العصمة » . لكن لم يكن بمقدور البطريرك ان يتخذ بعد موقفا من القضية : فانه ان رد بالايجاب اوقع طائفته في محنة مصيرية وعرّضها لخطر الانقسام بل الانشقاق . وان رد بالسلب فلن تزداد الحال الا تأزما واشكالا . لذا اختار التريث والانتظار . مما يفسح له مجال التفكير والاطلاع على ما يجري في الكنائس الاخرى . راح يترقب الاخبار ويتشاور مع غيره من الاحبار ، اذ ان للمواقف في مثل هذه الظروف تأثير متبادل . وقد اسعدنا الحظ وعثرنا على رسالة عظيمة الشأن في هذا الموضوع بعث بها اليه البطريرك اودو في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٧٠ . هذا اهم ما جاء فيها : « ... هوذا مكررين التحرير قصدنا الاطمنان عن احوالكم ومعرفة حوادث طرفكم لكي نكون على بصيرة خاصة من طرف الامور المعلومة . فنظرا الينا فنحن قد طلعنا من رومية بعد طلوع غبطتكم بازود من شهر وتواجهنا مع الحبر الروماني قبل

---

٦٥ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول .

طلوعنا . ولاكن (**كذا !**) ما صار راضي من مواجهتنا من حيث شي الذي طلب منا ما قدرنا ان نجريه وهو قبول الجلسة المعلومة وما اعلن بها وبناء على ذلك طلعنا من عنده لا نحن ولا هو راضين من بعضنا ، وثاني يوم سافرنا الى الاستانة على طريق النمسا وفي نهر طونا ثم مرّينا عند البريمات سيمور في الانكاريه وسكنا عنده يومين ورأيناه هو واساقفته ثابتين على ما كانوا عليه . وهنا في الاستانة طايفة الارمن الكاتوليك مثلما تعرفون هي طرفين ومتخاصمين مع بعضهم قدام الدولة . وصاحب الشوكة وكافة الوكلا قبلونا بكل اكرام خاصة لعلمهم بالامور السابقة واظهر لنا ممنونيتهم لاجل الثبات والصداقة التي اظهرناها نحو الدولة .ونحن افدناهم بثبات وصداقة غبطتكم ايضا . ويبان ان الدولة عن قريب تبرز فرمان في عدم قبولها البولة Reversurus (**كذا بالحرف اللاتيني !**) واحكامها واجراها في الممالك المحروسة ... نرجو من غبطتكم انكان يمكن ان تفيدونا ما هو راي باطريرك الموارنة واساقفته وطايفته نظرا الى المواد المعلومة وكيف غبطتكم وطايفتكم ومطارينكم وما راي السريان وكيف العمل من الان فصاعدا . وكل ذلك بطريق السر يكون فيما بيننا دايما نرجو بلا تحفظ ان تحرروا لنا كلما يلزم لكي نكون دايما على بصيرة ومتفقين براي واحد . وهوذا الان رومية تتهدد الارمن الكاتوليك اللذين (**كذا !**) ضد هاسون بالحرم وتلزمهم بقبول البولة والمجمع الفاتيكاني الخ والا تريد تحرمهم وتفرزهم من الكنيسة الخ . هذا ما تشرفنا باعراضه الى درايتكم السامية مع الرجاء باننا نتشرف من قبلكم بالجواب . ودمتم افندم . المحب اخيكم يوسف اودو باطريرك بابل . » (٦٦)

مضت على انتهاء المجمع ستة شهور والبطريرك الملكي متمسك بموقف الترقب والتروي ، يطالع بتأثر اخبار خضوع زعماء الاقلية في اوربة وقبولهم بالاولية والعصمة بعد وقت قصر او طال حسبما اقتضاه اقتناعهم الداخلي الضميري بالعقيدة المحددة. اما البطاركة الشرقيون المعارضون فقد ظلوا متحدين متماسكين لا

---

٦٦ ـ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول .

يعلنون القبول ولا يجهرون بالرفض . فجأة بلغ البطريرك اودو ان البطريركين الملكي والماروني قد غيرا موقفهما فاضطرب للخبر اضطرابا بالغا وكتب في ٢٢ ايلول ١٨٧١ بخط يده وبلغته العربية السقيمة رسالة سرية الى البطريرك غريغوريوس يوسف يقول فيها: « ... قد بلغنا من اشخاص مصدقين بان غبطتكم وغبطة الباتريرك الماروني الجزيل الطوبى ايضا قد كتبتم وبعثتم لرومية واظهرتم قبولكم للعصمة وتسليم حقوق الباطريركية الخ . لذلك التزمنا ان نكتب لغبطتكم بخط يدنا سرا طالبين من حضرتكم ان تفيدونا سرا عن هذه الخبرية وحقيقتها لنعرف نحن ايضا كيف نسلك ونتصرف نظرا لهاتين المادتين كون تعرفون نحن ايضا والقفين (**كذا ، بدل : واقفين**) على حالنا الاول اي بعد (**ما**) كتبنا لرومية قبولنا كما تعرفون وتخبرون جيدا . فاذاً نرغب تفيدونا ذلك كوننا اخوتكم ولا تفرزونا من طرف غبطتكم وازيد حالا ما يلزم نفيد غبطتكم ، فقط نرجوكم ان (**ما**) يوجد بطرفكم يلزم تعريفها من غبطتكم لنا عرفونا اياها ودمتم بغاية السعادة . هذا ما لزم عرضه والامر امركم » (٦٧)

لا نعرف جواب البطريرك الملكي (٦٨) . لكن هذا لا يمنعنا من ان نعرف بالضبط دوافع اعلان قبوله بعد كل هذا التردد . فان الانتظار موقف لا يجوز ان يدوم بل لا بد فيه من البت . ها هم اساقفة اوربة ولاهوتيوها ، فيما عدا بضعة افراد ، قد خضعوا جميعا لما حدده المجمع . ثم ان ضغط رومة قد زاد واشتد وراحت البروبغندا تتوعد وتهدد . واخيرا خفت حدة ردة الفعل الاولى في الطائفة ، وهدأت الخواطر بعد هياجها . فارتفع صوت العقل ودعوة الايمان ، ونشط المرسلون ودعاة السلام مع الكرسي الروماني فشرحوا ما التبس واوضحوا ما غمض . ولا يجوز ان ننسى انه كان في الطائفة الملكية فئة « رومانية » لاتينية الميول كسبها

---

٦٧ ــ محفوظات عين تراز : ملف الفاتيكاني الاول .

٦٨ ــ لا شك ان القارىء لاحظ اننا لم نذكر من رسائل البطريرك غريغوريوس يوسف سوى اثنتين وقعتا بين يدينا ، ذلك انه ليس في محفوظات المقر البطريركي في عين تراز « سجل مراسلات » هذا البطريرك ، وقد يكون من الاصح القول انه لم يكن لهذا البطريرك « سجل مراسلات » احرى من المجازفة في كلام لا طائل فيه.

المرسلون فصارت تدين بالولاء لهم وتدور في فلكهم . اندفعت هذه الفئة الضئيلة تروّج لقرارات المجمع ، وهي تشكل انتصارا لها ، فساهمت في الدعاية لها ونشرها في صفوف الملكيين . لقد تبدلت الظروف وتغيرت معطيات الوضع . فصار بامكان البطريرك بل من واجبه ان يحسم الموقف . لذا بعث الى الكردينال برنابو رئيس مجمع انتشار الايمان برسالة عن القاهرة في ٨ شباط ١٨٧١ يقول فيهـا :

« ... اني لا أتردد في التعبير عن موافقتي المطلقة والاعلان عن قبولي بالتعاليم التي تعرضها الكنيسة الكاثوليكية على ايماننا في كافة مجامعها بما فيه المجمع الفاتيكاني والدورة الرابعة منه .

« اني اومن بجميع العقائد التي حددتها هذه الكنيسة بما فيه سلطة التعليم المعصومة عن الخطأ التي يتمتع بها الرأس الاعلى والمنظور لكنيسة المسيح ...

« اما فيما يخص التهذيب الكنسي ، ارجو ان تأذن لي نيافتكم بهذا ، فاني لاجل ازدهار الديانة الكاثوليكية الان وفي المستقبل في الشرق وخصوصا في الكنيسة اليونانية ، ملتزم ضميريا ان اصرح بانني استثني ما استثناه مجمع فلورنسا المسكوني بهذه العبارة : فتحفظ سالمة كل حقوق البطاركة وامتيازاتهم ... » (٦٩) .

بهذه الموافقة شبه المشروطة اقر البطريرك غريغوريوس يوسف باولية البابا وعصمته دون « تسليم حقوق البطريركية » ودون ان يسبب لكنيسته اي بلبلة او اضطراب ، هذه الكنيسة الملكية التي احبها الى الغاية فكان خيرها هدفه الاوحد وغاية كل الجهود التي بذلها وكل المواقف التي وقفها وكل ما اتى من اعمال : فانه لاجلها عارض في المجمع ، ولاجلها سوّف في اعلان قبوله بما حدده المجمع ، ولاجلها ايضا واخيرا وافق على اولية البابا وعصمته دون ان يفرط في حقوق البطاركة وتقاليد الكنيسة الشرقية .

---

٦٩ ـ راجع مانسي ، المجلد ٥٣ ، عامود ٩٤٢ ، حيث تجد ايضا جواب الكردينال برنابو على رسالة البطريرك هذه .

خطابا البطريرك الملكي
غريغوريوس يوسف

ان هذين الخطابين القيا باللغة اللاتينية . لكن قد يكون لهما باللغة العربية اصل او ما يشبه الاصل . ونحن ننشر تعريبا قديما لهما . وقد سبق ان نشرت شيئا كهذا مجلة « الفوائد » سنة ١٨٩٠ (١) ، وعلقت في صدر الخطبة الاولى هذه الحاشية : «نشرنا هذه الخطبة حرصا على فوائدها الا اننا لم نقف على اصلها اللاتيني بل عثرنا على ترجمتها بخط احد النساخ فأثبتناها على علاتها مصلحين من عبارتها ما أمكن دون مس المعنى » . بسبب هذه الاصلاحات لم يعد بوسعنا الركون الى النص المنشور . وصار لا بد لنا من اعتماد نسخة مخطوطة . فحاولنا بادىء بدء الحصول على نسخة مكتبة الآباء البولسيين بحريصا التي يذكرها المنسنيور نصرالله في كتابه : « فهرس مخطوطات لبنان » (٢) فلم نعثر عليها ولعلها فقدت في جملة ما فقد من هذه المكتبة. فاضحى لزاما علينا ان نصل الى نسخة محفوظة في دير الشرفة (٣) . وفيما نحن نفكر في ذلك وجدنا في خزانة مخطوطات دير المخلص كراسة مخطوطة ، لا تحمل رقما ، فيها تعريب الخطابين . لكن لا ذكر فيها لاسم ناسخها ولا لتاريخ نسخها ، وهي تعود الى القرن ١٩ . ثم اسعدنا الحظ وعثرنا بين مخلفات الاب قسطنطين

---

(١) في اعداد آذار ونيسان وايار . ص ٢٥ ـ ٢٨ ، ٣١ ـ ٣٢ ، ٣٢ ـ ٣٦

(٢) بالفرنسية ، المجلد ١ ، ص ٥٢ .

(٣) راجع اسحق ارملة : الطرفة في مخطوطات دير الشرفة ، ص ٤٩٢ .

باشا المخلصي في الدفتر رقم ٦٧ من دفاتره على نسخة اخرى من هذا التعريب نقلها الاب باشا عن نسخة اصلية ثمينة . والى القارىء الكريم الملاحظة التي كتبها الباشا في مطلع الخطبة الاولى: « منقولة عن الاصل الذي هو بخط يد المؤلف الذي هو نفس المترجم . وهذا الاصل موجود عند الخواجا حنا دمر الدمشقي في بيروت . وصل له من صديقه مطران صور مع صورة الخطبة الثانية » (٤) .

قررنا الاكتفاء بهاتين النسختين . فاعتمدنا طبعا نسخة الاب باشا وقابلناها بنسخة مخطوطات دير المخلص . لكننا لم نر من الضروري اثبات ما بين النسختين من فروقات ، وهي على كل حال طفيفة لا يُعتد بها . وكان النص المطبوع في « الفوائد » تحت نظرنا يسعفنا عند الضرورة القصوى. لم نرجع الى النص اللاتيني(٥) لان النسخة التي اعتمدناها هي بخط يد المؤلف على ما يؤكد الاب باشا . الذي يجدر بنا ان نركن اليه خصوصا في هذا المجال . اولا لانه عارف بالخطوط عامة وخبير بخطوط مشاهير الملكيين خاصة. وثانيا لان خط البطريرك غريغوريوس يوسف خط مميز يسهل التعرف عليه ويصعب الاشكال فيه . وبقطع النظر عن قول الاب باشا ان ناسخ هذين الخطابين هو « نفس المترجم » والمؤلف . يكفي ان تكون النسخة التي اعتمدناها بخط يد المؤلف حتى يضحي النص الذي ننشره في حكم النص الاصلي . وكما تقتضي اصول النشر العلمي تركنا كل شيء على علاته كما ورد في المخطوط ؛ فلم نصلح الاخطاء الكثيرة الاملائية واللغوية ، وهي لا تخفى على القارىء اللبيب . لكننا استنسبنا اضافة علامات الوقف لنفصل بين الكلام فيسهل ادراك معانيه .

***

---

(٤) محفوظات دير المخلص ، الدفتر المذكور ، ص ٣٩ .

(٥) تجده في : مانسي ، المجلد ٥٢ ، عامود ١٣٣ – ١٣٧ و ٦٧١–٦٧٦.

الخطـاب الاول

ايها الروسا الكليو النيافة

ايها الآبا الكلي نيافتهم واحترامهم

فيما كنت اتفحص هـذا المرسوم الـلاهوتي عـن الكنيسة خطرت على عقلي بعض اشيا توجب على ضميري ان اخضع بعض أعتبارات لحكمكم السامي .

١ حاشا ان يخال لفكر احد أني مزمع ان أطعن على رياسة الحبر الروماني وحقوقه . لا بل اعلن باني أتمسك به بايمان حي حائزاً عندي كل احترام ووقار . ومن صميم الفؤاد أشتهي بـان هذه الرياسة تتلالى اكثر فاكثر بكل لمعان ضيائها في سيدنا الكلي القداسة البابا بيوس التاسع . وان تمتلك وتتمتع بكل حقوقها . غير قاصد ان اضع لهذه الرياسة حـدوداً اخر الا التي وضعهـا يسوع المسيح .

٢ بما انه يوجد في هذا المرسوم بعض امور تلاحظ الكنيسة الشرقية فافتكرت قبل ان يتحدد شي كقاعـدة دينيـة ان اوضح ماذا يكون مفيدا وماذا يكون مضرا لهذه الكنيسة .

٣ وقبل كل شي أتوسل بحرارة كلية ان تنتبهوا عـن اي موضوع مزمع ان اتكلم . اعني عن تلك الكنيسة الشرقية اليونانية التي أضحت عديمة الموت ودايمة الـذكر لاجـل استحقاقاتهـا وامجادها ومجامعها وعلومها ونظاماتها . عن تلـك الكنيسة الـتي معلموها العظام وشهداءها وموسسوها قد زينوا بيعة الله زينـة فاخرة بالقداسة والحكمة والعلوم . عن تلك الكنيسة التي بعـد ان سقطت في جزئها الاعظم في الشقاق المحزن وبعد ان غيرة وعناية الاحبار الرومانيين ما اهملت شيا الا واختبرته من اجيال عديـدة ليقودها الى الاتحاد الكاثوليكي تستحق كـل محبتـكم ومسرتكم وانعطافكم . عن تلك الكنيسة اخيرا المولفة من سبعين مليون من النفوس التي وهي موجهة الحاظها الى هذا المجمع المسكوني تنتظر

متوقعة اي شي يصنع فيه مما يستجلبها الى الاتحاد وما هو الباب الذي يفتح لها لتدخل منه الى الحظيرة وما هي الوسايط الفعالة التي تعد لها لكي ترجع الى منزل اب جميع المومنين ·

٤ غير اني ليس فقط لا اجد في هذا المرسوم مـا يفي او يكفي هذا الشوق العادل ، لا بل انه يحتوي على كل ما يضاده : اولا ان هـذا المرسوم المحتوي عـلى اربعة روس وثلاث قـوانين يرشق بالحرم الروم الذين شفقة الكنيسة الكاثوليكية ما اخضعتهم لحرم احتفالي ، لا بل كل منكم يعلم جيدا بكم من الحكمة والفطنة تصرف آباء المجمع التريدنتيني في مسألة الزيجة القـايمة بيننـا وبين المشاقين ، فان ذلك المجمع المقدس ملاحظـة للـروم ابى ان يشجب مدعيا ومستقيما ومـن دون توسط ذاك الراي المـوجب انحلال رباط الزيجة لاجل الفسـق ، ومن ثم استعمـل تعديـلا وتلطيفا واوضح بان الكنيسة لا تغلط فيما تحدده في امر الزيجة.

ثم ان الروم يدعون مشاقين اي منفصلـين ومنقسمـين · وموجود اساس ومبدا للمعاطاة معهم عـن الاتحـاد في القـانون الفلورنتيني. الا انه بواسطة هذه التحديدات قد اضمحل وخرب هذا الاساس ، وصار ضروري نفيهم وادراجهم في عدد الاراتقة · وبالتالي قد اضحت اكثر تشديدا الاثقال والمصاعب من ذي قبل لانضمام هولا ومصالحتهم مع الكنيسة الرومانيـة · فالى اين · اناشدكم الله ، تمضي تلك الاجتهادات والاهتمامات والتضحيات المقدمة من الاحبار الرومانيين مرارا عديدة لعقد الاتحاد معالروم؟ فاذاً يكفي ان يوتى بذاك التعليم البسيط الـذي يشرح بافتخـار رياسة الحبر الروماني في المرسوم الفلورنتيني ·

٥ ثانيا انه مشهور عند الجميع القانون الفلورنتيني المحتوي على تحديد رياسة الحبر الرومـاني بحـق الهي وعـن خصائصه وحقوقه ولكن كيف يجب ان يفهم اي هكذا كما هو محتـوى في اعمال المجامع المسكونية والقوانين المقدسة ، ثم حـالا يامر بـان تحفظ غير منثلمة كل حقوق وانعامات البطاركة الاخرين الممنوحة لهم من المجامع والقوانين فيقول هكذا : « ويحدد ترتيب اخوتنـا

البطاركة المحترمين كما هو مسلم بالقوانين بان البطريرك القسطنطيني يكون الثاني بعد الحبر الروماني الكلي القداسة ، والثالث الاسكندري ، والرابع الانطاكي ، والخامس الاورشليمي، مع حفظ كامل انعاماتهم » . فكل من طالع اعمال المجمع الفلورنتيني لا يقدر ان يجهل ان الآبا الروم لم يرتضوا قط الا بعد مشقات وصعوبات كثيرة ان يضعوا امضاواتهم على قانون التعليم المختص بالرياسة البابا وية قبل ذكر هذا الايضاح المذكور آنفا ، اي هذا الاشتراط يكون قد تسطر واضيف الى القانون المذكور . فالكنيسة الشرقية قد اعتبرت دايما هذا الشرط كحماية منيعة لاستقلالها وكعربون لعدم انثلامها واخيرا كتامين لنظامها . ثم ان هذا الشرط كان ويكون دايما كأساس استند عليه الاحبار الرومانيين في معاطاتهم امر ارتجاع المشاقين الى الاتحاد . وبقوة هذا الشرط صار قسم صغير من الكنيسة اليونانية متحدا الان مع الكنيسة الرومانية . وهذا الشرط هو الدفة والرجا الوحيد الذي تبقى للروم الكليون التمسك والتعلق بعوايدهم القديمة كي يجتذبوا الى تقديم الطاعة للكرسي الرسولي المقدس . والحال انه توجد اشيا في هذا المرسوم تزعزع الروم الكاثوليك من مركز الوحدة وتجلب بتوكيد كلي اليأس على الروم كي لا يتحدوا ابدا ، لانه لاي سبب صار في الراس الثالث من هذا المرسوم خرق هذا الشرط من القانون الفلورنتيني على انه كماله وجزءه المكمل ؟ فعسى أن يقال ان ايجابه به يجري في محل اخر . ولكن انا اقول ان قوته تعدم في حال انفصاله من جسم القانون ، لا بل متى انه انفصل فالشرح التابع القانون الثالث لا يترك له موضوعا في محل آخر وايضاح تلك السلطة الاسقفية الاعتيادية والغير المتوسطة التي ترتبط بها بقوة خضوع الرتبة المقدسة والطاعة الحقيقية في سائر رعاة الكنايس الخصوصية من اي رتبة وطقس كانوا وسائر المومنين افرادا واجمالا ليس فقط في الامور التي تخص الايمان والاداب بل التي تلاحظ التهذيب وسياسة الكنيسة المنتشرة في العالم اجمع . فبأي نوع، اناشدكم بالله ايها الآبا الكليو الاحترام، نستطيع نحن ان نشهر ونضع بالعمل هكذا مرسوم منصوص على

هذه الصفة ؟ بأي جبهة نستطيع ان نجادل المشاقين ونتعاطى مع الكاثوليك ؟ أليس بالحقيقة ان كل هولا ينعتونا بمحتقري القدمية المقدسة ويشجبونا بمخالفين المجامع والقوانين ؟ وكيف يجب ان نجاوب هولا الذين يحترمون احتراما بليغا المجامع المقدسة الملتئمة في الشرق عندما يعددون القانون السادس من المجمع النيقاوي الاول الذي يقول :

« فلتحفظ العادة القديمة في مصر وليبيا والخمس المدن بنوع ان سلطة الاسقف الاسكندري تمتد على هذه كلها كما هي بالمثل عادة اسقف رومية ، وهكذا ايضا فلتحفظ الانعامات بتلك الكنايس التي في انطاكية وباقي الاقاليم » ؟

ثم القانون الثامن من المجمع القسطنطيني الاول الذي يقول هكذا:

« بموجب النظامات المرتبة الاسقف الاسكندري يسوس فقط ما هو في مصر واساقفة الشرق يذكرون الشرق وحده حافظين شرف رياسة الكنيسة الانطاكية كما هو محتوي في قوانين مجمع نيقية » ؟

ثم القانون السابع عشر من المجمع الثامن القسطنطيني الرابع الذي يقول هكذا :

« المجمع النيقاوي المسكوني المقدس يامر بحفظ العادة القديمة في مصر والاقاليم التابعة لها بنوع ان الاسقف الاسكندري يحصل على رياسته كلها لان هكذا في مدينة الرومانيين تغلبت هذه العادة . ولاجل هذا السبب هذا المجمع العظيم المقدس يحكم بان العادة القديمة تحفظ في رومية القديمة والجديدة وفي كرسي انطاكية واورشليم بنوع ان روسا هولا المدن تكون لهم سلطة على جميع المتروبوليتين الذين يرتقون منهم ويقتبلون تثبيت المقام الاسقفي اما بوضع اليد او بمنح الباليوم » ؟

ثم القانون الاول من المجمع الخلكيدوني الذي اتخذ قوة ناموس مدني ، وشريعة جوستنيانس المائة والواحدة والثلثون ؟ فكل هذه القوانين قد تحددت وتكرست لاجل احترام وحفظ

حقوق الكنيسة الشرقية بالتمام بدون انثلام . ثم تثبتت في المجمع اللاتراني الرابع ومن المجمع الفلورنتيني .

فكيف يمكن ان الكاثوليك يثبتون في هذا الايمان والمشاقين يرجعون الى الاتحاد اذ يشاهدون في هذا المرسوم انهدام حصن استقلالهم وخسران كراسيهم البطركية من الشرف والحقوق ؟

وبالحقيقة كيف يجب ان نوفق هذه الامور ليس فقط مع القدمية وقوانين المجامع بل ايضا مع مراسيم الاحبار الرومانيين الذين دايما اكدوا للروم بانهم متى رجعوا الى الاتحاد لا يضعوا عليهم اثقال ولا تغيرات ، بل ساير حقوقهم تستمر سالمة . ولقد يكفي ان استشهد بواحد فقط وهو سيدنا الكلي المجد والغيرة على الشرقيين البابا بيوس التاسع الذي برسالته سنة ٤٨(١٨) الى الشرقيين المبدوة بهذه الكلمات « في السامي » هكذا يقول :

« وبالنتيجة لا نحملكم ثقلا آخر سوى هذه الاشيا الضرورية اي متى رجعتم الى الاتحاد وترتضون معنا بالاعتراف في ذلك الايمان الذي تتمسك به وتعلمه الكنيسة الكاثوليكية ثم تحفظون الاشتراك مع الكنيسة المذكورة ومع هذا الكرسي البطرسي الاعلى».

فتبصروا ايها الآبا الكليين الاحترام في النوع الذي به يجب ان نوفق ما يشهره هذا المرسوم مع هذا الوعد الكلي الاحتفال البارز من الحبر الاعظم .

٦ انه لشهير كيف رسم الكنيسة وُجد هكذا عند الشرقيين منذ القديم حتى الى هذه الاوقات وهو ان كنيسة المسيح العامة تتوزع بحق قانوني الى خمسة بطريركيات وتتجمع بحق الهي في واحد متقدم على الآخرين . هذه هي وهكذا كانت وحدة الكنيسة بان الاساقفة تشترك مع بطريركهم الخصوصي بالايمان والمحبة . وكل بطريرك يشترك هكذا مع البطاركة الآخرين لا سيما مع البطريرك الروماني . فواحد هو بحق الهي ، اي الحبر الروماني الذي يتقدم على الآخرين ، وخمسة بحق قانوني : متقدمي الكنايس وخلفا الرسل . ومن هم خلفا الرسل ؟ هم ، كما نقرى في اعمال

المجمع القسطنطيني الرابع . صاحب كرسي رومية الاول وصاحب الكرسي القسطنطيني الثاني واصحاب الكراسي الاسكندري والانطاكي والاورشليمي . هذه الخمس قمم السلطة الكنايسية وعندهم حكم القواعد الالهية .

فاذاً عموم الاسقفية تنفرد في خمسة قمم وتجتمع كلها بتمامها في قمة واحدة سامية .

٧ فلا عجب اذاً ان كانت المجامع المسكونية والاحبار الرومانيين هكذا اثبتوا وحددوا حقوق الرياسة السامية البطرسية حتى ان حقوق وانعامات البطاركة الآخرين تكون محترمة ومصانة. وهكذا ايضا الكنيسة الشرقية تسلم الى الحبر الروماني في سلطة عظمى وكلية التمام ولكن على هذا الشرط بأن عظمة وتمام هذه السلطة تاتلف مع حقوق كراسي البطريركية .

٨ ومن هنا قد حدث بانه بمقتضى شريعة وحق تغلب العادة الكلية القدمية بان الاحبار الرومانيين ، عدا الحوادث الجزيلة الجسامة ، ما استعملوا قط على هذه الكراسي تلك السلطة الاعتيادية وغير المتوسطة التي تذكر في هذا المرسوم لكي تحدد من دون استثناء . فان كان يستعمل هذا التحديد المسطر في القانون الثالث وفي الراس الثالث ، ففب ان يقلب اساسات الكنيسة اليونانية يجلب خرابها وملاشاتها ، وبالتالي ضميرنا الرعاوي ينبذ قبول هذا المرسوم لانه بعد ثمانية عشر عصرا ، أي منذ مبادي الديانة المسيحية الى هذا اليوم ، قد تدبرت وتاسست هذه الكنيسة بقوانين توافقها وتهذيب ممتاز لها وبنظامات مخصوصة فيها . فهذه قد ثبتتها العادة القديمة المتسلسلة والآخذة مبداها من العصر الرسولي ، واثبتتها المجامع القديمة الخصوصية والمسكونية ، والمعلمون والآبا تمسكوا بها ، وكل الاجيال التي تخلفت بعدهم كل هذه الاعصار وقرتها واحترمتها . فاساس سياستها هو استقلالها وعدم انثلامها ثم الاعتقاد بكلما يعلمه كرسي بطرس العالي وحفظ الشركة معه كما تعلم القدمية المقدسة كلها ويشهد عليه سيدنا بيوس التاسع في نصه الوارد اعلاه ، وهذا

ضروري ضرورة مطلقة . وهذان الامران تقوم عليهما الكنيسة اليونانية الشرقية ؛ وهما عند الشرقيين شي واحد ، لان هولا يعتقدون ويتمسكون بأن هيئة سياسة الكنيسة الظاهر والقايم بذاته هو وسم مميز وشرط ضروري لوجودهم الديني والاجتماعي. فاذاً من يشا ان يغير شيأ فهذا يريد ان يخرب كل الاشيا . وبالتالي ان اخذتم في فكركم حساب الزمان المستقبل او تمعنتم في عدم نقض وابدية هكذا تحديدات دينية كما هي الموجودة في هذا المرسوم ، او ان كان يهمكم حفظ المومنين ذوي الطقس اليوناني بالاتحاد مع الحبر الروماني ، واخيرا ان كان لا يغلق الى الابد ذاك المعبر الذي تجتاز به الكنيسة الشرقية باجمعها الى الاتحاد الكاثوليكي ، أتوسل بحرارة واتضرع بان تمزق هذه الموانع التي تتوسط في هذه التحديدات الدينية الجديدة .

٩ هوذا اوضحت بكل اتضاع ما يطلبه خير الكنيسة الشرقية . وهذه الدالية الوضعية قد حركني اليها القديس غريغوريوس الكبير الذي كان يحرض البطريرك الاسكندري والانطاكي بهذه الكلمات :

« ينبغي أن تحافظوا بثبات ومن دون تغرض على الكنايس كما تسلمتموها ... الكنيسة باجمعها فلتعرفكم بطاركة ليس في الاعمال الصالحة بل ايضا في حقيقة السلطة » .

فانا وان كنت غير مستحق لخلافة ذلك البطريرك الذي كتب له غريغوريوس الكبير وخليفة اولئك البطاركة الذين وضعوا امضاهم على قوانين المجامع المذكورة اعلاه لا سيما الفلورنتيني ، انا بكل توسل وتذلل اطلب بان يوتى فقط بالقانون الفلورنتيني بكماله اي باضافة ذاك الشرط (ونجدد) . وان كان يستبين لكم وجوب عمل قوانين الذي يضاف اليهم شي ما بزيادة ، فهذا يمكن اجراؤه في المستقبل عندما يكون كمل الاتحاد . وحينئذ الامة المسيحية تعطي فيه رضاها بسهولة .

١٠ لانه لا يسوغ لنا ان نتناسى المحبة عندما نتعاطى امور الايمان ، لا بل يقتضي وجوبا ان نبسط هنا عبارات الحب التي

تجتذب الروم الخارجين عنا الى الحظيرة السيدية تحت نظارة الراعي المنظور الاوحد . وبمقدار وضع تحديدات جديدة من هذا الجنس والنوع بمقدار ذلك تتجدد الاثقال وتتوسط الصعوبات وتوضع الموانع التي تمنع خلاص الانفس . اي الموانع والصعوبات والاثقال التي تدوم دوام هذه التحديدات . ولا افتكر ان نيتنا هي ندهك الجنس البشري بكثرة القواعد الدينية والحرومات . وبالتالي يجب ان نتعشم بان احكام هذا المجمع تكون مفيدة لخلاص النفوس لا لوضع اشراك لها ولا لتلافها ، لاننا نحن رعاة والله سيطلب منا نحن الرعاة ومن ايدينا نفسها دم الخراف الناطقة .

***

الخطاب الثاني

ايها الروسا الكليو النيافة

ايها الآباء الكليي النيافة والاحترام

١ هوذا امامكم أحد رعاة الكنيسة الشرقية الموعب احتراما نحو الكرسي الرسولي الروماني الذي ناضلت مرة عن الكنيسة اليونانية عموما ، وباتضاع التمست ما استبان لي مفيدا للرعية المسلمة لي ومسهلا بنوع جزيل الفاعلية لانشا الاتفاق والاتحاد مع المنفصلين عنا . ومن ثم آثرت بحرارة كلية أن يضاف على المرسوم الواقع عليه المداولة . علاوة على ما يتحدد عن رياسة الحبر الروماني . ذلك الشرط والامر التهذيبي المختص بالجيراركيا الشرقية ، من كونه لأمر واضح من تاريخ المجمع الفلورنتيني ان آبا الروم من دون هذا الشرط لم يرتضوا قط بالاتحاد ولم يقبلوا المرسوم الذي يحدد رياسة الحبر الاعظم كما قد برهن ذلك بفصاحة السيدان الكلي احترامهما ريس اساقفة رمس واسقف كران فارارينو (الاول فرنساوي والثاني من الطقس اليوناني من مملكة المجر) . والآن اعتبر موافقا ان اجاوب على المناقضات التي اوردوها بعض الخطبا الكلي احترامهم .

وقبل ان اشرع بالتكلم عن هذا الفصل الثالث اكرر ما قررته عن رياسة الحبر الروماني . أي اني اعترف بتقدم الحبر الروماني بالشرف والولاية في كنيسة المسيح العامة وان الكنيسة الرومانية هي مركز الوحدة وريسة ووالدة سائر الكنايس ، واثبت خصوصيات وانعامات الحبر الروماني كما ثبتهم وحددهم المجمع الفلورنتيني برضى آبا الروم واللاتينيين . واني اشتهي من كل نفسي ومن كل قوتي بان هذه الرياسة تتلالى بأعظم لمعان وتتقوى يوما فيوما وتبرز مفعولاتها الخلاصية في كل المسكونة حيث ما يوجد الشعب المسيحي ، وهكذا قطيع يسوع المسيح كله يكون رعية واحدة لراعي واحد . ومع هذا جميعه لا يمكنني ان اوافق على ما يبان لي في هذا الفصل **(الثالث)** غير مودي لبنيان شعب الله كما هو ظاهر في المقولة

الثانية والثالثة من الفصل نفسه ، وعلى موجب فكري يجب ان يتنقح بنوع لا يجلب نقصا على جوهريته وقوة الرياسة الحبروية .

٣ وقبل ان ادخل في الكلام عن غرضي اوثر منكم ايها الآبا الكلي نيافتهم وانتم ايها الخطباء الذين قاومتم آرائي بأن تنتبهوا جيدا بان ما اوردته سابقا عن الجيراركيا لا ينبغي ان يفهم بأني اوردته لغاية اجتلاب ضرر حقوق الاساقفة او لكي الترتيب البطريركي ياخذ محلا في الكنيسة الغربية ، بل لكي هذا الترتيب الذي وُجد ويوجد اليوم في الكنيسة الشرقية يُحفظ فيها . لأن الكنيسة الغربية يترأس عليها بطريرك واحد رئيس عموم البطاركة بحق الهي هو حبر عموم الكنيسة الاعظم . فالكنيسة الشرقية تعدد بطاركتها من الازمنة الرسولية الى الآن ، فبعضهم منفصلون عن الكرسي الروماني وآخرون متحدون معه تحت رياسة الحبر الروماني . فالتمس ان تُحفظ هذه الجيراركيا المرتبة بحق قانوني كلي القدمية . والتماسي هذا ليس لدثار الرياسة الرومانية بل لامتداد ولايتها ليس فقط على الشرقيين المتحدين بل ايضا على الشرقيين المنفصلين . وهذا نبلغ اليه عندما هذا المجمع الموقر في تحديده ماهية هذه الرياسة يظهر عنايته على حفظ الحقوق والطقوس والتهذيبات والعوايد المتسلطة في البطريركيات الشرقية منذ الاعصار الرسولية والمامور بصيانتها من دون انثلام من الاحبار الرومانيين . وقد اوردت لتثبيت هذا الترتيب البطريركي بعض قوانين المجامع المسكونية المثبتة والمحترمة من الاحبار الرومانيين . فتذكروا ايها الآبا الكلي نيافتهم واحترامهم ما تفوّه به الخطبا المضادون عن هذه القوانين التي اورد واحدا منها بما انه يحتوي على باقي القوانين ، وهو القانون السابع عشر من المجمع القسطنطيني الرابع المسكوني الثامن الذي مآله : ان المجمع النيقاوي المسكوني المقدس يامر بأن تُحفظ العادة القديمة في مصر والاقاليم التابعة لها بنوع ان يكون للاسقف الاسكندري السلطة عليها كلها كما أن هكذا عادة تغلبت في مدينة الرومانيين ، ولاجل هذا السبب هذا المجمع العظيم المقدس يحكم بأن تحفظ العادة القديمة بكل

الاشيا كما في كرسي رومية القديمة والجديدة هكذا في كرسي انطاكية واورشليم ، بنوع ان يكون للمترأسين على هذه الكراسي السلطة على سائر المتروبوليتين الذين يرتسمون منهم ويقتبلون ثبات المقام الاسقفي بوضع اليد او باعطا الباليوم .

وليسمعوا الآن ما يقول الاحبار الرومانيون عن الحق القانوني المكتسب من هذه القوانين . فالقديس لاون الكبير في رسالته الى مكسيموس الانطاكي هكذا يتكلم عن القوانين النيقاوية : « لا يمكن اجلاب ادنى خلل الى القوانين العادمة الانثلام . ولقد يمكن بأكثر سهولة انحلال معاهدات أي رضى يكون مما يمكن افساد أي قاعدة من هذه القوانين » .

ومن يجهل ان البابا غريغوريوس الكبير قد اعتبر مراسيم هذه المجامع كاعتباره الاناجيل المقدسة ؟

وقد تقدم البابا داماسيوس وكتب هكذا : « حاشى ان اخالف ابدا مراسيم الآباء » .

وكتب البابا زوسيموس الى اساقفة فيننا هكذا : « القوانين القديمة تحيى عندنا على اصول لا تتزعزع لأن مراسيم الآبا سجلوا احترامها . . . فولا سلطة هذا الكرسي تستطيع شيا ضد تحديدات الآبـاء » .

والبابا غريغوريوس السابع يقول هكذا في رسالته الحادية عشرة : « انه في غير محله ما تشورون به علينا بخصوص الاسقفية الاراكونية لاننا نعلم ان مراسيم الآبا مضادة لنا في هذا . . . الكرسي المقدس معتاد ان يغض النظر بفطنة عن اشيا كثيرة . ولكن لا ينتزح عن اتفاق التقليد القانوني » .

والبابا شيلستينوس قال : « فلتتسلط القوانين علينا ولا نتسلط عليها نحن . ولنكن خاضعين لها » .

واي شي نضيف اكثر من ذلك ان كان صورة الاقرار الذي يصنعوه الاحبار في انتخابهم تحتوي الوعد بحفظ المجامع المسكونية بالحرف وبانذار وحفظ كلما انذرت به ورتبته المجامع المذكورة .

٣ فما هي هذه القوانين وما هي هذه المراسيم وما هي هذه القواعد التي تكلم عنها الاحبار الرومانيون ؟ فليتبصر في ذلك الخطبا اضدادي الكلي احترامهم . ان شهادة المجمع المسكوني الثامن مقررة لا تقع تحت ريب عند احد . والحال ان الترتيب البطريركي يتلالى بكل اشعته في هذا المجمع الذي بالقانون المذكور اعلاه يثبته ويضعه على اساسات راهنة . ثم ان قوانين ومراسيم المجامع المسكونية الثمانية هي محتوية في كتاب الحق القانوني . فما هو . ناشدتكم الله . وماذا كان نوع سياسة الكنيسة في عصر المجمع الثامن ؟ راجعوا ما قال ثاودوروس الاستودي . واسمعوا ما يقال في الجلسة السادسة والسابعة من المجمع المذكور : في الجلسة السادسة الملك باسيليوس يخاطب تباع فوتيوس هكذا : « اما علمتم انتم وكل من تحت الشمس ان خمسة بطاركة الارض قاطبة هم بمعاضدة الهنا ذوي راي مستقيم ، ولاجل ذلك كلما يحكمون به يلزمكم قبوله » . ثم باكثر ايضاح في الجلسة السابعة يتلالى باسمى نوع بهذه الالفاظ : « وضع الله كنيسته في خمسة بطاركة وحدد بانها لا تسقط كلها لأنها رووس الكنيسة . فان سقط اثنان يلوذون الى باقي الثلاثة وان سقط ثلاثة يلوذون الى الاثنين وان ربما سقط الاربعة فالبطريركية التي تبقى تكون كراس الكل في المسيح » .

٤ فهذا الترتيب البطريركي . هذا النظام السياسي الذي يتوخى ان يكون محفوظا . هل الآن يوجد في الكنيسة الشرقية ؟ انه امر اكيد ان حوادث كثيرة قد عربست النظام القديم لوجود جملة شيع هناك كالنسطورية واليعاقبة . واما المنشقون فهم في عدد وافر ويدعون ذواتهم ارتودكسيين وهم ينقسمون الى اربع بطركيات قديمة . ويوجد شرقيون متحدون مع الكرسي الرسولي الروماني ومتبددون ضمن حدود الاربع بطركيات . فانا الذي اسوس الروم الملكيين عندما حاميت عن قضية السياسة البطريركية السائدة في الشرق ما تكلمت عن ذاتي ولا عن بيتي . بل بنظر ارفع وبقوة قلب رسولي ناضلت عن الكنيسة الشرقية باجمعها وعن تلك الكنيسة المنشقة منا التي اشتهي من صميم قلبي ان ترجع الى

الاتحاد مع الكنيسة الحقيقية . فالذي خاصمني لاجل اني حملت ذاتي حمل هذه المحاماة فلا اخاصمه انا بل هو مبرز حكمه على ذاته . نعم اني التمست ان الجيراركيا الشرقية تستمر غير منثلمة مع انعاماتها وحقوقها ، والآن اكرر هذا الالتماس من المجمع الفاتيكاني ان لا يحدد شيا يودي الى انثلام حقوق وانعامات هذه الجيراركيا . واطلب هذا بكل عدل . وهذا الذي رجالنا الكاثوليكيون يلتمسونه كما يظهر لكم مما تحرر لي في الشهر الماضي من الشرق وانقله لكم بالحرف : « بلغنا ان رومية تقصد ادخال بعض تغييرات في الكنيسة الشرقية ، فان كنت تسلم في حق من الحقوق والعوايد الطايفية او البطركية او تتنازل عنها فنحن لا نعرفك علينا بطريركا . وبالمثل ان اقيم آخر خلافك فلا نعرفه ولا نقبله » .

فحقا انها تستحق الاعتبار والاستثنا الاحوال الموجود فيها هولا الكاثوليكيون لانه من حينما كيرلس طاناس البطريرك الانطاكي تعالى وانتصر على العوائق والموانع التي كانت تصد سلفاءه اعلن ذاته متحدا مع الكنيسة الرومانية هو وسائر اساقفته وكامل شعبه ، فالبطريرك القسطنطيني قد تحرك غضبا عند سماعه هذا الحادث فسمى بطريركا آخر سلفستروس وسلحه بفرمان عالي وارسله الى الشام ليطرد كيرلس البطريرك الشرعي من كرسيه ويرجع الشعب الى طاعته عن كيرلس الذي بعد ان عانى كثيرا توارى في لبنان . واما البطريرك الدخيل فلم يترك شيا ولم يفعله ضد الشعب المتحد . واستجلب الى حزبه كثيرين بقوة الحبوس والنفي والبلص وسائر اجناس الاضطهادات الجزيلة الثقل التي تمارست من البطاركة الذين خلفوه مدة نحو مايه سنة بكل قساوة وشراسة . واخص ذلك انه في سنة ١٨١٨ ارسل مطرانا يدعى جراسيموس من البطريرك القسطنطيني وبيده فرمان كي يبيد الكاثوليكيين اذا امكن . فعمل اشيا كثيرة ضدهم ومنها انه في حلب قتل اثني عشر نفر من اعظم معتبري ذلك الشعب بعد ان سقاهم مرائر العذابات ، وفي سنة ١٨٢١ اقصى من المدن الاكليروس مرسلا اياهم الى المنفى . ولولا ان الله حرك والي عكا الى الشفقة لمعاضدتنا وخلاصنا من هذا العدو الشديد القساوة لما كنا الآن

موجودين . ومنذ سنة ١٨٣٠ اكتسبنا حرية ممارسة الديانة وخلعنا عنا نير التعلق بالبطاركة المنشقين . ونلنا الاستقلال المدني . وصرنا ننمو يوما فيوما بارتداد المنشقين الينا . فهذا الشعب الذي تحمل كل هذه المضايق والذي لا يقدر ان ينسى ماضيه وسوابقه يستحق كل التفاتكم وانعطافكم .

ثم ان هذا الامر التمسه ملاحظة للمنشقين . لانه من منكم يقدر ان يجهل ان البطاركة المنشقين القسطنطيني مثلا والاسكندري والانطاكي والاورشليمي لا ينفروا من الاتحاد ولا يقبلوا المرسوم الفلورنتيني ان كنتم تحددون هذه الرياسة الحبروية كما هي مخصوصة في هذا الفصل او ان كنتم تمزقون من المرسوم الفلورنتيني نفسه ذاك البند التهذيبي المقرر والمثبت باتفاقية وبمعاهدة ورضى عمومي الذي يامر بأن تُحفظ غير منثلمة حقوق وانعامات البطاركة . ومن منكم لا يشاهد بأن هولا سيبتعدون ابعد البعد عن الاتحاد عندما يلحظون بأن الروسا والبطاركة الشرقيين المشتركين والمتحدين مع الكنيسة الرومانية قد عراهم الكرسي الرسولي من حقوقهم وانعاماتهم الكلية القدمية . ثم نحن نعتقد ونومن بوعد يسوع المسيح القائل انه ستكون الرعية الواحدة والراعي الواحد . فان كان هذا اعتقادنا فكيف يجوز لنا ان نزيد الموانع والصعوبات حتى تصد الصلح والمسالمة ؟ فمن ازمنة المجمع الفلورنتيني بسعي وبفطنة هذا المجمع وبشفقة وبمسرة الاحبار الرومانيين قد استمر مفتوحا الى الآن الباب الذي يدخل به الخارجون الى حضن الكنيسة . فيا له من عجب كيف يوجد البعض الذين يريدون الآن غلقه او قفله بالتمام غير عالمين ان هذا الامر مضاد لما رسمه المجمع اللاتراني الرابع الذي فيه تحدد هذان الشيان : الاول ما يلاحظ الرياسة الحبروية . والثاني وجوب حفظ ما رسمته القوانين بخصوص حقوق وانعامات البطاركة ؛ ثم ضد مجمع ليون الثاني الذي فيه ملك الروم يتفوه هكذا عن انعامات الكنايس البطركية في صورة الاقرار الذي ارسله وتلي في المجمع المذكور : « ان الكنيسة الرومانية تشرك الكنايس الأخر في جزء من الاهتمام ، وبين هذه قد زينت وشرفت كنايس كثيرة بانعامات

مختلفة وبنوع خاص الكنايس البطريركية » . فآباء المجمع الفلورنتيني اتبعوا اثار هذين المجمعين واجروا ايجاب القوانين المحددة في المجامع الأخر عندما حددوا رياسة الحبر الروماني ووطدوا الترتيب البطريركي في المشرق .

فلا اعلم لماذا يُطعن علي لاجل اني التمست ان يضاف المرسوم التهذيبي الذي عنه التكلم الى المرسوم اللاهوتي الفلورنتيني المنقول في هذا الفصل ملاحظة لعموم الكنيسة الشرقية . كما اني التمس من جديد ان يضاف . ألعلنا نفتكر ان الروم انفصلوا عنا الى الأبد ؟ والحال ان الاخبار الواردة من الشرق تعلن ان نفورهم من الاتحاد هو اقل من السابق . حتى لا اقول انهم يؤثرونه برغبة . فكيف يسوغ لنا ان ناتيهم بهذا المرسوم ناقصا عندما يقدمون لنا المرسوم الفلورنتيني ليكون اساسا للصلح والاتحاد ؟ وماذا نقول عن فاعلية وقوة القوانين القديمة ؟ وكيف نجاوبهم عن مواعيد الاحبار الرومانيين الذين امروا بحفظ الجيراركيا والطقس والعوايد؟ فان طالعوا ما هو مسطر في هذا القسم الثالث وسمعوا القوانين . أما يجب ان نخشى بأن يقال ان الكرسي الرسولي نكث في المعاهدة الفلورنتية وتناسى مواعيده واحتقر قوانين المجامع المسكونية وخالفها برايه الخصوصي ؟ انني لمنذهل بأن يوجد بيننا من يقنع بأن تجري هكذا امور وهم غير مبالين بأن الكرسي الرسولي والاحبار الرومانيين يتشخصون في الشرق كمن لا يعنيهم امر حفظ مواعيدهم وقوانين المجامع . ثم اني لمندهش ايضا بأن هولا يرتضون بأن تنسخ وتبطل حقوق البطاركة التي يعرفون جيدا ماهيتها في الشرق . أولعلهم يجهلون ان في هذا المجمع الفاتيكاني يجلس معنا اسقفان من ذوي الطقس الشرقي قد احتضنا حديثا الاتحاد الكاثوليكي . فهذان لم يتحدا الا بعد ان الكرسي الرسولي اتفق معهما على اساس قانون المجمع الفلورنتيني .

ه فرياسة الحبر الاعظم تحفظ كل ثباتها وتمكينها ان كان هذا المجمع يشهر ويثبت ما اتفقوا عليه وحددوه في المجمع الفلورنتيني آبا الروم واللاتين . لا يخفض شي من ماهية وجوهرية

هذه الرياسة ان كان سلطانها الولائي في الكنيسة اجمع لا يتحدد كسلطان اسقفي وغير متوسط واعتيادي . وبالعكس ان كان هكذا يتحدد ويلتزم كل انسان مسيحي ان يعتقده بايمان الهي فكيف لا نرهب . ايها الآبا الكلي نيافتهم واحترامهم . من حدوث متاعب في جسم الكنيسة ؟ وكيف لا نخشى من تكثير الموانع التي لا اقول عنها ان لا يعلو عليها مانع لعقد الاتفاق او مع الشرقيين او مع تلك الجمعيات النابذة ايمان رومية . انه لشهير التاليف المصنوع من زكريا الذائع الصيت بعنوان « فلنترك الامور ان تكون كما هي » . يجب علينا ان نضع هذا العنوان امام اعيننا لكي تحيد عنا تلك البدع التي من شانها ان تقلق بنوع من الانواع سلام البيعة . وهكذا فلنتذكر هذا العنوان في الامور التي نتعاطاها بشان الكنايس الشرقيــة .

وبشان هذه الكنايس قد حتم الاحبار الرومانيين ان لا يحدث ادنى تغيير الا ما كان ضد الايمان . فالبابا بناديكتوس الثالث عشر سنة ١٧٢٠ في اعمال مجمع الروتينيين قد ثبت مراسيم سلفاه ثم قوانين المجامع فيما يخص استقلال الكنيسة الروتينية وطقسها ورتبها المقدسة وكامل عوايدها . ومرسوم نيقولاوس الثالث محسوب بين المراسيم المثبتة . ففي هذا المرسوم الحبر الاعظم يوعد الروم الذين اتحدوا معه بعد المجمع الليوني بأن يحفظوا كل تلك الاشيا التي لا تناقض الايمان وامر ان تُحفظ قوانين ومراسيم المجامع المقدسة . فمرسوم وقانون المجمع الفلورنتيني الذي اثبته اوجانيوس الرابع برضى الآبا عن البطريركيات القديمة يجب ان يُعتبر كقاعدة حقيقية بين الكنيسة اللاتينية واليونانية . فالكرسي الرسولي قد أجرى بالفعل هذه المعاهدة بعد ذاك المجمع بزمان يسير مع الارمن واليعاقبة الذين ارتدوا الى الاتحاد . وهذه المعاهدة قد اتخذها بازا عينيه اكليمنضوس الثامن في عقد اتحاد الروتانيين مع الكنيسة الرومانية . وهذه الملاحظة لاحظها بيوس التاسع نفسه سيدنا الحبر الاعظم في رسالته الى الشرقيين التي اعطاها في السنة الثانية من حبريته موعدا فيها بأنه لا يضع عليهم ثقلا آخر . هذه المعاهدة اعتمدها الحبر نفسه الكلي الحكمة في اتحاد البلغار سنة

١٨٦٠ . واذ بلغنا الى هولا يسوغ لي أن أقدم هذه الملاحظة بان بطريرك كيليكيا الكلي الاحترام (**البطريرك الارمني حسون**) في هذه الواقعة كان متذكرا بذاك المثل الشهير « فلنترك الامور كما هي » . لأنه بخطه الى البلغاريين اوعدهم بأنه لا يتجدد شي في كنيستهم . وهذه هي كلماته : « فلتُحفظ في المستقبل طقوسكم وليتورجياتكم واحتفالاتكم وعوايدكم المرتبة من الآباء القديسين والمحفوظة لحد الآن تطبيقا لما اعلنه احتفاليا سيدنا البابا بيوس التاسع في رسالته العامة الى الشرقيين سنة ١٨٤٨ » . فهذا كان الجواب لاوليك البلغار الذين عندما ارادوا الاتحاد طلبوا ان هذا يتم بموجب تحديدات المجمع الفلورنتيني بشرط ان لا يتجدد شي في كنيستهم ورتبهم المقدسة .

٦ فمن كلما تقدم ينتج شيان : اولهما ان الكرسي الرسولي والاحبار الرومانيين منذ المجمع الفلورنتيني الى الآن قد تعاطوا الصلح والاتفاق مع الكنايس الشرقية على مبادي مرسوم المجمع المذكور ، ثانيهما انه في ساير الاعمال الاتحادية قد جرت معاهدة وميثاق على حفظ الجيراركيا والليتورجيا وكل الحقوق والانعامات والعوايد القديمة . فلا تتعجبوا اذاً ان كنت في مداولتي معكم عن هذا الفصل الثالث اطلب منكم بكل حرارة ايها الآبا الكلية نيافتهم واحترامهم : **اولا** ان في المرسوم المختص برياسة البابا لا يُطلق فيه الحرم وذلك ملاحظة . **ثانيا** ان هذا المرسوم لا يكون شيا آخر سوى تجديد ما حدده المجمع الفلورنتيني . **ثالثا** ان يندرج في محل مناسب في هذا الفصل الثالث المرسوم التهذيبي المحتوم به في هذا المجمع نفسه بأن تُحفظ من دون انثلام حقوق وانعامات البطاركة القدماء .

فالذي قررته اخضعه لحكمكم الصائب .

الاخ فايز فريجات المخلصي

الكنيسة الملكية والمجمع الفاتيكاني الاول

ظهر هذا البحث في مجلة « الوحدة في الايمان »
في عددها الخاص « الشرقيون في المجمع المسكوني الفاتيكاني الاول »

١٩٧٠